الشعراء من ولد السلطان بشر بن حاتم الهمْداني وما تبقى من أشعارهم

(صنعاء: ٥٦٩-٦٦٤هـ)

د. عبد الله طاهر الحذيفي

أستاذ مساعد في الأدب العربي ونقده - كلية الآداب

جامعة الوصل - دبي - الإمارات العربية المتحدة .

mf.elawam@yahoo.com

ملخص البحث:

تقدِّم هذه الدراسة ما بقى من شعرِ ستةٍ من الشعراء الفرسان من ولد بِشْرِ بْنِ حَاتِمٍ الْهَمْدَانِيِّ وأحفاده، الذين عاشوا في صنعاء اليمن والحصون المجاورة لها، خلال المدة (٥٦٩-٦٦٤هـ) -(١١٧٤-١٢٦٥م)، مُواكبينَ للدولة الأيوبية في اليمن، وأربعين سنةً من حياة الدولة الرسولية، إلى أنْ تخلّى بنو عمهم السلطان عليٍّ بنِ حاتم عن حصنهم الشامخ (ذَمَرْمَرْ)، الذي ظلّ من أبرز مصادر قوتهم، وسلّموه إلى المُظَفَّر الملك الثاني للدولة الرسولية. وقد جَمَعنا من المصادر التاريخية المطبوعة والمخطوطة، ما بقي من أخبارهم القليلة، وأشعارهم، فحصل لنا (٢٠٢) مائتان وبيتان، في تسع قصائد،وخدمناها بالتحقيق، والدراسة، فكشفنا عن اتساع ثقافتهم، وجودة أشعارهم، وما لها من خصائص فنية ولاسيما في بناءالصورة الشعرية، التي برزت فيها الكناية أكثر من غيرها، وربما كان سبب ذلك في حياة الفروسية التي عاشوها، وما ترتبطبهمن استخدام الرمز إلى أمور الحياة أكثر من التصريح، ولو بقي أكثرُ شعرهم لبقي أدبٌ وفنٌّ كثير وجميل.

الكلمات المفتاحية (الشعراء الفرسان – بشر بن حاتم – صنعاء – الدولة الرسولية – الدولة الأيوبية) .

المقدمة :

تضع هذه الدراسة بين يدي القارئ ما تبقى من أشعار أولاد السلطان بِشْر حاتم بن أحمد الهَمْدَانِيّ وأحفاده، وما تسنَّى لنا جمعه من أخبارهم، مما كاد أنْ ينطوي ذكره، لولا بعض كتب التاريخ المطبوعة والمخطوطة، التي واكبت أحداثًا كان لهذه الأشعار والأخبار تلامسٌ معها، وتداخلٌ بها، لذلك لم يكن من اليسير الوقوف عليها، بسبب انطواء بعضها في صفحات كتبٍ ليست متخصصة بمجال الشعر والأدب، واختفاء بعضها في صفحات كتبٍ ما تزال مخطوطةً ونادرة، بل يكادُ بعضها يكون في حكم المُنْطَمِر، ولذلك وجدنا من المعاناة في البحث والتنقير عنها، وفي قراءة بعض النصوص التي غدت كلوحات أثرية هشمتها عوامل التعرية، ما استغرق منا وقتًا غير قليل، حتى خرجنا بهذه الإضمامة اللطيفة من أشعار ولد بِشْرٍ وأحفاده، فتحققنا منها كلمة كلمة، ووازنا بين ما اختلفت روايته وقدمنا الأضبط والأنسب منها في المتن وأشرنا إلى الاختلاف في الهوامش، وضبطنا أكثر الكلمات وشرحنا الغريب على القارئ منها، وعززنا النصوص بترقيم القصائد والأبيات، وترجمنا للأعلام والأماكن الواردة في النصوص والأخبار، وقدمنا لها بمدخل عن حالة اليمن، والأحداث التي واكبت حياة الشعراء، وأتبعنا الأشعار بدراسة توضح مضامينها وخصائصها الأسلوبية، وختمناها بملخص يرصد أبرز النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

مدخل (عصر الشعراء):

عاش الشعراء من ولد بشر بن حاتم الهمْداني في صنعاء – اليمن، وما حولها من الحصون المتربِّعة على قمم الجبال العالية، وكانت لهم أوديةٌ وحقول منتشرة حولها، خلال المدة (٥٦٩-٦٦٤هـ)، وعاصروا الدولة الأيوبية في اليمن (٥٦٩-٦٢٦هـ)، والعهد الأول الزاهر من الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ)، كما عاصروا بعض الأئمة الزيدية الهادوية، الذين كان لهم ظهورٌ غالبا على مناطق صعدة وما جاورها، ويدخلون صنعاء إذا أتيحتْ لهم الفرصة. وفيما يأتي لمحات عن تلك القوى:

أ) الدولة الأيوبية في اليمن: (٥٦٩-٦٢٦هـ):

أقبلتْ جحافلُ جيش الأيوبيين من مصر إلى اليمن في عام ٥٦٩هـ، يقودها الملك توران شاه[(١)]، وكان ذلك إيذانا بقيام الدولة الموحدة وانهيار دويلات الحصون والأقاليم اليمنية، وابتداء تضعضع سلطة بني حاتم في إقليم صنعاء[(٢)]، قضى توران شاه في طريقه من زَبِيد على دولة بني مهدي (٥٥٤-٥٦٩هـ)، ثم على حكم آل زُرَيع الهمْدانيين في عدن، وأحكم السيطرة على تهامة وعدن وحضرموت، واتخذ من تَعِزَّ مقرًّا لسلطان هذه الدولة، ثم توجه توران شاه بجيشه إلى صنعاء فدخلها، وزعزع سُلطانَ بني حاتم... وما إنْ تعزز نفوذه على اليمن حتى ترك له نوابًا، وغادرها إلى الشام سنة (٥٧١هـ)، ثم خلفه أخوه العزيز

(١) هو شمس الدين توران شاه بن أيوب، وهو أخو صلاح الدين الأيوبي وكان أكبر منه، جهزه صلاح الدين بجيش كبير، ووجهه من مصر إلى اليمن، فدخل زبيد في شوال سنة ٥٦٩هـ، دخل أكثر بلاد اليمن وسيطر عليها، ثم استناب نوابا له عليها، وعاد إلى الشام سنة٥٧١، ومات في الإسكندرية سنة ٥٧٦هـ وقبره في دمشق. ينظر: "وفيات الأعيان"، لابن خلكان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٦٨م، ١/٣٠٦-٣١٨.

(٢) ينظر: هامش مؤسس الدولة الحاتمية الآتي.

طُغْتُكِين بن أيوب[١] في ملك اليمن، فحكم أكثر البلاد خلال الأعوام (٥٧٧-٥٩٣هـ)، ومن بعده تولّى ابنه المُعِزّ إسماعيل (٥٩٣-٥٩٨هـ)، ثم انتقل ملكُهم إلى سُنْقُر أتابك[٢] الناصر بن طغتكين، ثم إلى الناصر نفسه (ت٦١١هـ)، ثم أقبلَ إلى اليمن الملك المسعود الأيوبي[٣] سنة (٦١٢هـ)، واستتبَّ له الحكم حينًا من الزمن، ثم غادر اليمن متجها نحو مصر لكنه مات في الطريق بمكة سنة (٦٢٦هـ)[٤]، وبخروجه خرج مُلْكُ الأيوبيين من اليمن، بعد أنْ ظلّ فيها ٥٧ سنة[٥].

ب) الدولة الرسولية:

أسس هذه الدولة نورُ الدين عمر بن علي رسول، الذي كان من مقدمي جيش الأيوبيين ثم عيّنه الملك المسعود الأيوبي نائبا عنه في اليمن، لكنه سرعان ما استقلَّ بالحكم لنفسه (٦٢٦-٦٤٧هـ)، تحتَ ما عُرف بالدولة الرسولية، ودعا في خطبة الجمعة للخليفة العباسي في بغداد، ومن بعده تولَّى الحكمَ ولده المظفر يوسف (٦٤٧-٦٩٤هـ)، ثم توالى أبناء المظفر من بعده، وأدارت الدولة الرسولية اليمن من تعز، مدةً تزيد على قرنين وربع القرن: (٦٢٦-٨٥٨ه) - (١٢٢٩-١٤٥٤م)، وكانت سلطتها تمتد على سائر اليمن، ولاسيما في عهد سلطانها الثاني الملك المظفر[٦]، وتنكشفُ بعض الوقت لحكم جزئي في صعدة، ومعها صنعاء أحيانا، لصالح بعض الأئمة[٧].

ج) الأئمة الزيدية الهادوية:

كانت صعدة غالبا محطة انطلاقٍ للأئمة الهادويين[٨] الذين ظلوا يرغبون في مدّ نفوذهم نحو صنعاء، التي التي تزعزع فيها حكم آل حاتم، وكان يخرج منها ولاة الأيوبيين كلما سنحت الفرصة لأحد الأئمة، ومنهم:

(١) العزيز طغتكين بن أيوب: هو أخٌ لصلاح الدين الأيوبي. ينظر: "السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ في اليمن"، بدر الدين محمد بن حاتم [بن علي بن حاتم] بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني. تح: ركس سمث، منشورات جامعة كمبردج، ١٩٧٣م، ٢٤. و"العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية"، الخزرجي، تح: محمد بسيوني عسل، مصر مطبعة الهلال بالفجالة، ١٩١١م. ص٢٩. و"قرة العيون" بأخبار اليمن الميمون"، عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ)، تح: محمد بن علي الأكوع ، بيروت ، دار بساط، ط ٢، ١٩٨٨، ص٢٧٤ و٢٨٢.

(٢)الأتابك: مَن يربي أولاد الملوك، وكان سنقر هذا يقوم على تربية الناصر بن طُغْتكين، وبعد وفاةِ الملك الْمُعِزِّ الأيوبي أمْسَكَ سنقر بزمام الأمرِ نيابة عن الناصر (٥٩٨-٦٠٨هـ). ينظر:"قرة العيون" ٢٨٦-٢٨٩.

(٣)هو المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وأبو بكر هذا هو أخٌ لصلاح الدين الأيوبي. ينظر:"قرة العيون"، ص٢٩٢.

(٤) ينظر:"العقود اللؤلؤية"، تح: محمد بسيوني ص٤٠.

(٥) ينظر:"العقود اللؤلؤية"، تح: محمد بسيوني ص٢٩-٤٠. و"تاريخ المخلاف السليماني"، محمد بن أحمد العقيلي، الرياض، مطابع الرياض، ط٣، ١٩٩٨م، ١٨٢/١.

(٦) المظفر: هو يوسف بن عمر بن علي رسول، ثاني سلاطين الدولة الرسولية في اليمنوأقواهم (٦٤٧- ٦٩٤هـ).

(٧) ينظر: "قرة العيون"، ٢٩٩ وما بعدها.

(٨) ينظر: "الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية"، حُميد بن أحمد المحلي، تح: المرتضى بن زيد المُحَطْوَري، مطبوعات مطبوعات مكتبة مركز بدر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م، ٣٨.

-الإمام عبدُ الله بن حمزة المنصور (٥٩٣-٦١٤هـ)، توسع نفوذه في أول أمره بمساندةٍ من السلطان علي بن حاتم، نكاية بالملك العزيز طغتكين الذي فرضَ على آل حاتم نفقةً شهرية كبيرة للحامية الأيوبية في صنعاء، وصادف قيامُ الإمامِ وفاةَ العزيز طغتكين، فتمكنمن دخول صنعاء في سنة ٥٩٤هـ، لكنه لم يُكتبْ له القرار فيها إلا ريثما استعاد الملك المُعِزّ بن طغتكين قواه ونهض نحو صنعاء، فتركها الإمام، ثم عاد إليها سنة ٦١١هـ، ثم خرج منها بعد بضعة أشهر، وكان ذلك الإمام قُبيل وفاته يُعِدّ ولدَه عز الدين محمدا للأمر، فأسند إليه قيادة عسكره[١]، وظل هذا الأمير يسمو للإمامة، ويتحين الفرص للوثوب على صنعاء، وفي سنة ٦٢٣هـقادَ الأشراف ومن تبعهم إلى معركةٍ مع الأيوبيين وآل حاتم، سُمِّيَتْ بمعركة عَصُر قرب صنعاء، وفيها هُزِم عز الدين بن الإمام، وفر وقد فقد إحدى عينيه، ونالت تلك المعركة نصيبا حسنا مما تبقى من شعر أولاد بشر بن حاتم.[٢]

- الإمام أحمد بن الحسين أعلنَ نفسه إمامًا سنة ٦٤٦هـ، وتمَّ له دخول صنعاء سنة ٦٤٨هـ في عهد الدولة الرسولية، وذلك عندما تزعزعت قوتها مؤقتا بمقتلِ مؤسسها، أواخر سنة ٦٤٧هـ، فلما استقر هذا الإمام بعض الوقت في صنعاء أظهر سطوته، فخرّبَ عاملُه زرعَ الفارس الشاعر عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم، فأنشأ قصيدة يندد فيها بذلك العامل، ثم أمر الإمام بقتل نفرٍ من همْدان، فتركه الهمْدانيون، وندد شاعرُهم به، وأحسبه عزان بن عمرو نفسه، وصار آل حاتمٍ إلى السلطان المظفر يوسف (٦٤٧-٦٩٤هـ) ملك الدولة الرسولية الثاني، فعزّز ولايتَه في صنعاء، وأخرجوا ذلك الإمام منها بعد عام من دخولها.وانضم الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، ومعه أخوه شمس الدين أحمد وأتباعهم للعمل تحت راية الدولة الرسولية، وقاتلوا الإمام أحمد بن الحسين في صعدة، وكان قد قَتَلَ من الحمزيين وأتباعهم في معركة واحدةَ ثلاثمائة ونيفا، وأسرَ آخرين.. ثم قُتِل بسيوفهم سنة ٦٥٦هـ[٣]، وكتبوا بذلك فرحين إلى الملك المظفر[٤].

د) الحاتميون الهمدانيون:

برزت الفروسية في الهمدانيين منذ وقت مبكر، غير أننا هنا سنكتفي بالنظر إلى آل حاتم الذين استتب لهم السلطان بعض الوقت مستقلينَ بصنعاء وما والاها، أو إلى جوار الدولتين الأيوبية والرسولية، ومنهم:

- القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني (ت٤٧٩هـ)، كان فارسا مقداما، وشاعرا ومتكلما فصيحا وصاحب سيادة وفضل في قومه، وكان له اليدُ الطُّولَى في قيام الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ)، ومساندة مؤسسها عليّ بن محمد الصليحي، وقد أوْكَلَ إليه الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي الأمرَ في ولاية صنعاء، عندما نقلَ مقرَّ حكم الدولة الصليحية إلى (ذي جبلة)[٥]. قُتِل عمران بن الفضل وهو يقاتلُ تحتَ

(١) ينظر: "الحدائق الوردية"، ٢٨٦/٢ -٣٢٢.

(٢) ينظر: "السمط الغالي الثمن" ١٨٢-١٨٥.

(٣)ينظر: "أئمة اليمن"، محمد زبارة، تعز، المطبعة الناصرية، ١٩٥٢م، ١٥٢/١-١٥٧. و"تاريخ اليمن الفكري في العصر العصر العباسي"، أحمد الشامي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٧م ، ١٨٢/٣، وما بعدها.

(٤)ينظر:"السمط الغالي" ص٣٢٨-٣٣١ و"قرة العيون" ٣٢٤-٣٢٥.

(٥) (جِبْلَة)أو (ذي جبلة) مدينة صغيرة من القرن الخامس الهجري، تكاد تدخل في مدينة إبّ بسبب التمدد العمراني في عصرنا، والمسافة بينها وبين صنعاء١٥٠ كيلو متر هوائي على خرائط جوجل ٢٠١٩م،وقد بَنِيتْ على سفح جبل التَّعْكَر، واتخذتها السيدة أروى بنت أحمد الصليحية عاصمةً لها،قريبا من سنة ٤٧٥هـ، وأنزلتْ زوجها المكرم في

رايةِ الصليحيين، ضد آلِ نجاح ذوي الأصل الحبشي، المتغلبين على إقليم تهامة[١]، في معركةٍ الكظائم قربَ مدينةِ زَبيد سنة (٤٧٩ هـ)، لكنه ترك لأبنائه وأحفاده مجدًا وشرفا، ساعدهم على الوصول إلى السلطنة على صنعاء وما والاها سنة ٥٣٣هـ[٢].

- السلطان حاتم بن أحمد الهمْداني، حفيد عمران بن الفضل، كان فارسًا وشاعرًا وسياسيا حكيما وصاحب علمٍ ولغة، واتته الفرصة للحكم فأسس ما عُرف بالدولة الحاتمية، وأصبح سلطانا على صنعاء وما والاها (٥٣٣-٥٥٦هـ)[٣].

وضرب الدينار الحاتمي[٤]، وقد درسنا أخباره وما تبقى من شعره، في بحث مستقل[٥].

- السلطان علي بن حاتم، كان أحدَ أعيان وقته ورجالِ زمنه مجدا وسؤددا وسيادة[٦]، فاختاره الناس سلطانًا بعد أبيه (٥٥٦ هـ)، واستتب له الأمر وتمَلَّك حصون صنعاء وما حولها، كحصن ذمرمر وكوكبان والعروس وغيرها[٧]، وظلَّ أمرُه ومعه آل حاتم في زيادة، فقاوموا الإمامةَ، لكنَّ البلاءَ تضاعفَ عليهم بحلول الدولة الأيوبية في اليمن، إذ هاجم جيش توران شاه صنعاءَ سنة ٥٧٠هـ، وزعزع سلطة علي بن حاتم، لكن توران شاه ترك اليمن بأيدي نوابٍ له، وغادرها سنة ٥٧١هـ، وعاد علي بن حاتم من حصونه المنيعة إلى صنعاء، ثم أخذ أمره يترنح بفعل عودة الأيوبيين ثانيةً إلى صنعاء سنة ٥٨٥هـ، فتصالح معهم حينا ومع الإمام عبد الله بن حمزة حينا، حتى وافته المنية سنة ٥٩٧هـ[٨].

والد هذه الأسرة الشاعرة:

حصن التَّعْكَر المنيع على قمة ذلك الجبل، وكان قد أصيب بمرض الفالج، وظلتْ تحكم أجزاء من اليمن حتى وفاتها في سنة ٥٣٢هـ. ينظر: "الصليحون والحركة الفاطمية"، حسين الهمداني ص٨٨ و١٣٦، و"عيون الأخبار،السبع السابع"، إدريس الأنف، مخطوط ، صنعاء، مكتبة الفاو١٢٢/٧.

(١) تِهَامَة: اسم يطلق على السهول المحاذية للضفة الشرقية للبحر الأحمر، من العقبة إلى عدن، فيقال: تِهامة الحجاز، وتهامة عسير، وتهامة اليمن، وفي تهامة اليمن عددٌ من الأودية الخصبة، كوادي زبيد ووادي رِمَع ووادي سُردُد. ينظر:"تاريخ المخلاف السليماني"، ٦٢/١.

(٢) ينظر: "عيون الأخبار"، إدريس حميد الدين: ١٠٦/٧-٢٠٧.و"الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن"، حسين فيض الله الهمداني، بيروت ومنشورات المدينة، صنعاء ط ٣، ١٩٨٦م ص١٣٨ وما بعدها.

(٣)قال بعض المؤرخين: وكان حدّ مُلكِ [حاتم] من نقيل العابرة إلى اليمن، وإلى القبلة بركة جوب المعروفة بالبحرة،ينظر:"العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك"، للخزرجي (ت:٨١٢هـ)، مخطوط (صنعاء، مصورة وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٨١م ، ص ٧٤. وقال الأكوع في هامش"قرة العيون":(نقيل العَابِرَة: جنوب صنعاء ويقع في بلد الحدأ فوق قرية يَكَار الجهرانية، وجَوب: بلدٌ في ظاهر البَوْنِ الأسفل في الشمال الغربي من عمران).ينظر:"قرة العيون"، ص٢٠٦.

(٤)ينظر:"قرة العيون"، ص٢٧٦و٢٧٨.

(٥) ينظر: "حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء (٥٣٣-٥٥٦هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتحقيق ودراسة"، د.عبد الله طاهر الحذيفي، مجلة جامعة الوصل دبي، العدد٥٧، يونيو: ٢٠١٩م.

(٦) ينظر:"تاريخ المخلاف السليماني"، ١٣٨/١.

(٧) ينظر: "قرة العيون" ص٢١٢.

(٨) ينظر: "قرة العيون" ص٢٨٦.

- السلطان بِشْرُ بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الهمْداني، أصبح من الفرسان في أيام حكم أبيه، وممن يُعْتَمَدُ عليهم، قال والده السلطان حاتم:

فـــمنْ مُبْلِغٌ عنِّـي عَـلِـيًّا وصِنْـــــوَهُ بأنِّـي أَلِـيمٌ فـاثـأرَا وتَـــلَـــزَّمَا
فـيُسْـرَايَ مِنْ جَذْبِ العِنَانِ يَـخُونُنِـي ويُمْنايَ مِنْ جَرِّي الأصَمَّ المُـقَـوَّما[1]

أراد بعلي ابنه عليًا وصِنْوِه/أخوه بِشْرًا هذا، فأبوهما السلطان حاتم يحثهما على اليقظة والقيام بواجب الأمر معه ويعدُّهما لما بعده.

عاشَ بِشْربن حاتم حياة الفارس النبيل، وكان متكلِّما فطنا، صاحب نجدة وشهامة وكرم،قال الأكوع[2]: هو هو أحدُ سلاطين العربِ، وأساطِينِ الأدبِ، وأحَدُ الدَّعاماتِ التي رَكَزَتْ قواعِدَ دولةِ أبيهِ حاتم بن أحمد، وأخيهِ السلطان عليّ بن حاتم، وكانَ بيدِهِ جنودٌ وحصونٌ، عالِيَ الهِمَّةِ عظيم الشأن رفيع المكانِ...**وله أولاد وأحفاد** كانوا مُثَلَ الفضْلِ والنُّبْل، ليوثَ وَغى، وغيوثَ ندى، مع أدبٍ غَضٍّ طري، وأخلاق أرق من النسيم، وأعذب من التسنيم،ولمّا ماترثاه سبأ بن مفرح الثلائي بقصيدة عصماء،منها:

١. هذي قواعدُ مَجْدِ يَعرُبَ ثُلَّتِ وذُراهُ مِن فوقِ الكواكِبِ خَرَّتِ»[3]

وفَدَ السلطانُ بشر بن حاتم على الملك العزيز طُغْتُكِين في تعز، سنة (٥٨٤هـ)، لتجديد الصلح... فوافاه إكرام الملك طول الطريق فلـمَّا حضرَ بمقام الملك طُغْتُكِين أجَـلَّه،وأحسنَ إليه الإحسان المتناهي، ومن جُمْلَتِهِ أنه خلَعَ عليه خِلْعَةَ الخَليفةِ التي كانتْ للملكِ العزيزِ، وسيفَهُ وطَوقَ ذَهَبٍ، وكزّ نُضَارٍ[4]، وغيرَ ذلك وأحسنَ إلى كلِّ مَنْ وصلَ صُحْبَتَهُ[5]... ثم طلبَ الملك من بشر بن حاتم أنْ يُحالِفَهُ(ضدّ أخيه السلطان علي بن حاتم)، فأبَى أنْ يفعل، وقال: "إنَّ هذا عارٌ عليَّ، ومتى افْتضحْتُ في أخي لم تأمَنْ مِن أنْ أفْتَضِحَ فيكَ"، فعَجِبَ الملكُ العزيز منه، واسْتَرْجَحَهُ واستعظَمَهُ، وقال يومًا لجلسائِهِ: كنتُ أظنُّ بِشْرًا يحلفُ لِي ويُساعدُني، وكنتُ أُمَلِّكُهُ صنعاءَ وبلادَ همْدَان، فقال رجل منهم : كيف يعطيه الملكُ شيئا هو يقول إنه له وفي يده، فغضب الملكُ على المتكلم[6].

وفي سنة (٦٠٤هـ) التقى السلطانُ بشرُ بنُ حاتم بالأتابكِ سُنْقُر، الحاكم الأيوبي باسم سيدِه الصغير السن الناصر بن طغتكين في مدينة الجَـنَد[7]، وأنَّ الأتابكَ أكرمَه وأنصفه، وقادَ إليه عشرينَ حِصانًا وعُدَدَها،

(١)ينظر: حاتم بن أحمد... مجلة جامعة الوصل دبي، العدد٥٧، يونيو: ٢٠١٩م.ص٤٢١.

(٢) محمد بن علي الأكوع الحوالي كان مشغوفا بتحقيق كتب التاريخ اليمني (ت٢٠١١م).

(٣)ينظر: "قرة العيون"، هامش ص٢٧٧.

(٤) الكزّ: الذي لا ينبسط، وذهبٌ كزٌّ: صُلْبٌ جدًّا، والنُّضار: الذهب والفضة وغلب على الذهب، وكذلك هو نوع من الشجر تصنع منه الأقداح، ينظر "لسان العرب" و"تاج العروس"(كزز)، وأحسبُ أنَّ (كزَّ النُّضار) في هدية الملك هذه ساقٌ من ذهب صلب كالعصا الصغيرة.

(٥)ينظر: "السمط الغالي الثمن"، ٣٠.

(٦) ينظر:"السمط الغالي"، ٣٠-٣٢، وينظر "قرة العيون" تح: محمد الأكوع، ٢٧٦-٢٧٨.

(٧) الجَنَد: مدينة مندثرة، تبعد ٢٠ كيلو متر إلى الشرق عن مركز مدينة تعز الحالية، كانت عاصمة الإقليم من قبل الإسلام، وإليها خرج الوالي على اليمن من قِبَلِ الرسول صلى الله عليه وسلم معاذُ بن جبل رضي الله عنه، ومسجده الذي أسسه فيها موجود إلى اليوم.

ليحْمِلَ عليها من كان معه من أجوادِ أصحابهِ، وأجرَى لهم الجامَكيّة[١].عَمِلَ السلطان بشر بن حاتم تحت راية الدولة الأيوبية الغالبة وبرعايتها، حتى وافته المنية. ومن خلال الأحداث التي ذكرناها يمكِنُ القول إنه ولِدَ قريبا من سنة ٥٢٥هـ ومات قريبًا من سنة ٦١٠هـ، أي أنه عاش حوالي٨٥عاما.

حاول بنو حاتم مقاومة الدولة الأيوبية، فلما رجحت كفتها واستولى الملك العزيز طغتكين على أكثر حصونهم في سنة ٥٨٥هـ، تصالح آل حاتم الهمدانيون مع هذه الدولة، وساروا في ركابها مع تقلُّص سلطانهم الفعلي، ثم عملوا تحت راية الدولة الرسولية، حتى سلّموا أمْنَعَ معاقلهم وهو حصن ذَمَرْمَر[٢] إلى علم الدين سنجر الشعبي والي صنعاء للملك المظفر سنة: ٦٦٣هـ، وذلك بعدما اختلفوا وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم[٣].

كانت الحركة الثقافية في اليمن مزدهرةً في ذلك العصر، وكانت الحواضرُ مراكزَ علمية يكثر فيها العلماء والأدباء والشعراء، ويقصدها طلاب العلم من نواحي اليمن المختلفة، ومن أبرز تلك المراكز: صنعاء وزبيد والجند وعدن وجِبْلَة وصعدة وتريم...[٤].

الشعراء من أولاد بِشْر بن حاتم وأحفاده:

لِلسلطان بشرِ بنِ حاتمٍ أولادٌ وحفدةٌ نجباء فرسان؛ فمن أولاده عليٌّ وعمرو وعلوانومُدرك وسعيد وحاتم، وأكثرهم شعراء فصحاء، أما مَن أدركنا لهم قصائد شعرية مِن أولاده فهم: عَمْرو وعَلْوَان ومُدْرِك، ومن أحفاده: عَزَّان بن عمْرو، وعزان بن سعيد، ولِعَزان بن سعيد ولد شاعر اسمه سالم، وفيما يأتي نقدم ما حصلنا عليه من أخبارهم، ثم نأتي بأشعارهم:

١)عمرو بن بشر بن حاتم:

هو عمرو بن بشر بن حاتم بن أحمد الهمداني، عُرِف بأنّه فارسٌوشاعر، إذ وردَفي"السمط الغالي الثمن" أنَّالملك العزيزطُغْتَكِينالأيوبي زحفَ على صنعاء في سنة ٥٨٥هـ، وهاجم حصون آل حاتم رغبة في إخضاعهم، وتمكنَ من الاستيلاء على أكثرها،فأخذ [حصن] الفِصِّ الصغيرقهرًا، ثم تسلَّمالفِصَّ الكبير، وكان فيه عمرٌو وعلوان ابنَا بشر بن حاتم فأسرَهما، وأرسلَ مَن كان معهما من الحريم والخدم إلى حصن (ذَمَرْمَر)، مستَقَرِّ والدهما وعمِّهما السلطان علي بن حاتم عند الشدائد، وخلال ذلك نزلَثالث أولاد بشر بن حاتم واسمه عليّ من حصن بَرَاش[٥] في خيل مغيرًا إلى صنعاء، وواجهته خيلٌ للأيوبيين فقُبِضَ عليه

(١)ينظر "السمطالغالي" ص ١٣٩-١٤٠

(٢) حصن ذي مَرْمَر: وتسقط الياء فيقال: ذَمرمر،وهو حصنٌ منيف شامخ صعب المرتقَى، فيه قريب من ٣٠٠ مدفن لخزن حبوب الطعام، ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء وهو معدود اليوم من ناحية بني حشيش، انتقل إلى السلطان علي بن حاتم من بني الزواحي، وكان يسكنه هو وأخوه السلطان بشر عند الشدائد، حاصره العزيز طغتكين بن أيوب أربع سنوات، ولم يسقطه، حتى فُكَّ الحصار بالصلح، ثم صار إلى ذرية السلطان علي بن حاتم. ينظر في حصاره "السمط الغالي" ص٣٧، وينظر: "قرة العيون" تح: محمد الأكوع، ص٢١٢وهامشها، وما بعدها.

(٣) ينظر: "السمط الغالي" ٣٥٥-٣٥٧.

(٤) ينظر: الشعر في اليمن من القرن الخامس الهجري حتى نهاية الحكم الأيوبي ٦٢٦هـ، علي عبده الزبير، رسالة دكتوراه، جامعة عدن، ٢٠٠٦م ص٣١-٣٢.

(٥) براش: حصن منيع شرقي مدينة صنعاء، إلى الشرق منجبل نقم، ويسيطر عليه. ينظر:"قرة العيون"، تح: الأكوع، هامش ص٢٠٤.

وسُلِّمَ إلى الواليأسيرا[١]. وظهرَ عمروبن بشر مع والده وأخيه حاتم في خبر آخر، عند الملك المُعِزِّ إسماعيل بن طغتكين الأيوبيفي مقر حكمه بتعز، سنة ٥٩٤هـ[٢]، بعد عقد صلحٍ بين هذا الملك الأيوبي وبني حاتم،واصطحبهم المُعِزُّ في حملةٍ إلى صنعاء، وتوجه وهما معهفحاصرَ حصن كوكبان[٣]. ولم نقف على تفاصيل أخرى من حياة هذا الشاعر.

٢)علوان بن بشر بن حاتم:

كان علوان بن بشر في حصن الفِصّ الكبير بصنعاء مع أخيه عمرو، عندما أسرهما الملك العزيز طغتكين، سنة: ٥٨٥هـ، ويبدو أنّ عَلوانَ كان قد بلغ سنّ الفارس المحارب ولذا وُصِفَ بالأسِير[٤]، وظهر علوان في خبر آخر مع ابن عمه مسعود بن علي بن حاتم سنة٦١٤هـ ، -ويصفُ راوي الخير كلاًّ منهما بالسلطان، مما يشير إلى أنّهما كانا عند ذاك مقدميْن في قومهما- وقد دعاهما والي صنعاء ليقفا مع قومهما في نصرة الأيوبيين لحفظ أمن مدينة صنعاء، وخرجت الحامية الأيوبية لصَدِّ هجومٍ قاده عز الدين بن الإمام[٥].وفي حدثٍ ثالث كان السلطان علوان بن بشر مع ابن عمه السلطان سالم بنعلي بن حاتم في سنة: ٦٢٣هـ[٦] عندماتقدّمَا مقاتلي همْدان القادمين من حصنينمرمر وبراش إلى صنعاء لمؤازرة الحامية الأيوبية، لَمّا وصل الأمير عز الدين محمد[٧] بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة، من الجهات الشمالية لمهاجمة صنعاء والسطو عليها، عندما كان الأميران الأيوبيان بدر الدين حسن بن علي رسولوالي الأيوبيين على صنعاء وأخوه نورُ الدين عُمر بن علي رسول[٨]منشغليْن بمهمة عسكرية في ذمار. فأعدَّ عز الدين قوته وبدأ معركة عَصُر[٩]، ووصل فرسان الأيوبيين مع القائدين الرسوليين المذكورين ودخلوا المعركة، وهُزِمَ الأشراف، وفرّ عزُّ الدين من المعركة بعد أنْ فقد عينَه فيها، وفرّ معه أشراف قومه، ومن بقي معهم من عسكرهم إلى ثُلا[١٠] شمالا.وكانت تلك المعركة في عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل،

(١)ينظر الخبر في "السمط الغالي": ٣٢- ٣٥. و"العسجد المسبوك"، ١٦٥-١٦٦.

(٢) ينظر "العسجد المسبوك"، ص ١٧٢. وينظر: "قرة العيون"، ص ٢٨٤.

(٣) حصن كوكبان من الحصون المنيعة، كان فيه عمرو بن السلطان علي بن حاتم، ويقع إلى الشمال الغربي لمدينة صنعاء القديمة، بمسافة تقدر ب٣٩ كيلو متر جوي على خرائط جوجل.

(٤)"السمط الغالي": ٣٣- ٣٥.

(٥) ينظر: ""السمط الغاليالثمن": ص١٧٠.

(٦) ينظر: "السمط الغالي الثمن": ص١٨٠.

(٧)كان عز الدين من قادة عسكر والده الإمام عبد الله بن حمزة. ينظر "قرة العيون" ص٢٩٣، ثم قام بالأمر مُحْتَسِبا بعد وفاة وفاة والده سنة ٦١٤هـ، ينظر:"السمط الغالي الثمن": ص١٧٢، و"الحدائق الوردية"، للمحلي، تح: المحطوري ٣٢٢/٢، وحارب أعداءه من الأيوبيين، ثم تحالف معهم، وحارب أبناء عمه أئمة صعدة والأشرافَ الرافضين له،ثم صار من جملة أتباع الملك المظفر الرسولي، ومن مستشاريه، حتى وفاته بعد سنة: ٦٦٣هـ،ينظر:"السمط الغالي الثمن": ص٣٤٦-٣٤٧ص٣٥٩و٣٦٠، ومما قال أخوه شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة بعد معركة عصر: (وما دامَ عز الدين فينا فإننا على ذروة في المجد أشرف ذروة). ينظر: "السمط الغالي الثمن" ١٨٢-١٨٥.

(٨) قبل أن يصير الأمر إلى هذا الأخير وينشئ الدولة الرسولية بثلاث سنوات.

(٩) (عَصُرْ) بفتح العين وضم الصاد: حيٌّ من أحياء مدينة صنعاء إلى الغرب منها، تبعد عن مركز المدينة القديمة خمسة كيلو متر.

(١٠) (ثُلا) حصنٌ وقريةٌ إلى الشمال الغربي من مدينة صنعاء تبعد قريبا من ٤٢ كيلو متر جوي، على خرائط جوجل.

وكان ذلك الملك حينها في مصر، وقد أنشأ علوان بن بشر قصيدة في المعركة إلى الأمير عز الدين، سنأتي بها فيما تبقّى من شعره.

٣)مُدرِك بن بشر بن حاتم:

هو مُدْرِكٌ بن بِشْرٍ بن حاتم(كان موجودا في سنة ٦٢٣هـ)، وبعض المراجع تشير -واهمةً- إلى أنهمدرك بن حاتم بن بشربن حاتم[١].

كان مدرك أحد الفرسان الشعراء، وكان إلى جانب جيش الأيوبيين في اليمن،وكان مقدَّما بين الهمدانيين، عندما ألحقوا الهزيمة بالأشراف في معركة عَصُر المذكورة آنفا، وكان الوالي الأيوبي على صنعاء، وقائد معركة عصر قد طلبَ من مدرك أنْ ينشئ قصيدة على لسانه إلى الملك المسعود وكان في زيارة والده بمصر، يبشره فيها بخبر النصر في تلك المعركة، ولمدرك قصيدةٌ أخرى في المعركة نفسها وسنأتي بهما فيما تبقّى من شعره.

٤)عَـزَّان بن عمرو بن بشر بن حاتم:

عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم، هكذا ورد اسمه في "نزهة الأفكار"[٢]، كان فارسا معدودا في كبار همدان، بل شاعرهم المقدم في وقته، وهو الذي أنشأ القصيدة التي تندد بعاملِ الإمام أحمد بن الحسين في أواخر سنة ٦٤٨هـ عند ما دخل هذا الإمام صنعاء مستغلا انشغال الدولة الرسولية بمقتل مؤسسها الملك عمر بن علي رسول سنة (٦٤٧هـ)، وكان عامل الإمام الرقيمي قد بطشَ بزرع هذا الفارس الشاعر، ولم يلبث هذا الشاعر الحاتمي أنْ ندَّد بالإمام نفسه عندما اشتدتْ يده على همدان، فتركوه وانحازوا عنه إلى حصونهم، ووالوا الملك المظفر الرسولي بعد أبيه، وكانت قصيدة عزان في الشأن الأخير أكثرَ حرارةً.

وكانَ عزان مستشارًا مطاعًا عند صاحبِ عسكر الدولة الرسولية بصنعاء، قال صاحب "السمط الغالي الثمن": «وفيها [صنعاء] عزان بن عمرو، وهو أحدُ رؤساء همدانذلك الوقت [سنة ٦٦٨هـ]، وكان مولانا السلطان [المظفر] يستصوبُ رأيَه ويستجيده، ويعمل به... وقد قدَّم مولانا السلطانُ الوصيةَ إلى الأمير عز الدين محمد بن نجاح، ألّا يفعلَ شيئا إلا برأيه ومشورته ولا ينفرد عنه بأمر»[٣]. ولا شك أنه كان في عداد عداد كبارِ السِّنِّ عند وقائع هذا الخبر الأخير، ولم نجد له غير القصيدتين المذكورتين وسنوردهما فيما تبقّى من شعره.

٥) عَزَّان بن سعيد بن بشر بن حاتم:

(١)وردَ اسم هذا الشاعر "مدرك بن حاتم بن بشر بن حاتم" في "العقود اللؤلؤية": ٤٥/١، وفي "العسجد المسبوك":١٨٧، وكذلك في "قرة العيون": ٢٩٧، لكن اسمه في "السمط الغالي الثمن": ١٨٦ و١٨٧ " مدرك بن بشر بن حاتم" وهذا المصدر ومؤلفه أقرب إلى الشاعر من جهة الزمن ومن جهة القرابة الأسرية.

(٢) نزهة الأفكار وروضة الأخبار، عماد الدين إدريس الأنف: (٧٩٤-٨٧٢هـ)، (مخطوط)، منه ميكروفيلم رقم (٧٤٩٣) (٧٤٩٣) تم تصويره عن مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء للهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٣م، ومنه نسخة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، لوحة ٥٦، لقطة ٣٥٠. وينظر ترجمة إدريس الأنف: روضة الأخبار ونزهة الأسمار، إدريس حميد الدين الأنف، تح: محمد الأكوع (مقدمة المحقق)، صنعاء، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥م.ص ١٧و٢٣.

(٣) "السمط الغالي الثمن": ٣٩٥-٣٩٦.

هو الأمير الفارس الشاعر عزّ الدين عزَّان بن سعيد بن بشر بن حاتم، من كبار همدان وقوادهم، وردَ ذكرهُ في معرض كلام بعض المؤرخين[١] عند ماقام جيش الملك المظفر -وكان يسير تحت رايته الأشراف الحمزات-بدخول صعدة والانتصار على من كان فيها من جيش إمامها، وتعيين والٍ للدولة الرسولية عليها، وقد نال الحمزات من خصومهم، وذلك في سنة ٦٥٢هـ[٢]، ويبدو أنّ الفارس الشاعر عزان بن سعيد كان مع قومه في جملة العساكر المظفرية، وبعد ذلك النصر طلبَ منه الأمير شمس الدين أحمد بن الإمامعبد الله بن حمزة أنْ يُنْشِئَ قصيدةً على لسانه، إلى السلطان الملك المظفر، يمدحه فيها، ويخبره بالنصر الذي تحقق لدولته، وشَفَى غليلَ الحمزيين، فأنشأ قصيدةً مطلعها:

سَلامُ مَشُوقٍ ودُّهُ ما تصَـرَّمَا يزورك من نجدٍ وإنْ كُنْتَ مُنْهِمَا

وفي سنة ٦٥٨هـ كان ابتداء اختلاف أحفاد السلطان علي بن حاتم ومن معهم، في حصن ذي مَرْمَر؛ فانقسموا إلى فريقين؛ فريق محالفٌ للسلطان المظفر ملك الدولة الرسولية، على رأسهم الأديب الكاتب الفارس صاحب كتاب "السمط الغالي الثمن" الأمير بدر الدين محمد بن حاتم، وفريقٌ مُحالفٌ للأمير أسد الدين[٣] الوالي الرسولي السابق في صنعاء، المتمرد آنذاك على ابن عمه السلطان المظفر، وكان الأمير صارم الدين داود بن الإمام في حلف أسد الدين، وأخذ يبذل جهده في التنفيس عن المحاصرين في ذمرمر، وكان يُمنِّيهم الأماني والأباطيل[٤]، غير أنّ أسد الدين لم يجد ملجأ للفرار، فأوصله الوسطاء إلى ابن عمه الملك المظفر، فأودعه السجن بقلعة تعز[٥]، وكان الملكُ المظفر قد ولَّى على صنعاء علمَ الدين سنجر الشعبي، فحاصر حصن ذَمرمر حصارا شديدا، وفي سنة ٦٦٣هـ، اشتد على المحاصرين مرضٌ غير معهود، فاستسلموا وسلموا الحصن بثمن بخس[٦]. وكان بعض الناس من بني عمهم ومن غيرهم يجرون بينهم بالصلح قبل خروجهم من الحصن، لكن الصدع كان يتفاقم.

كان عزان بن سعيد بن بشر كبيرَ السن مُقْعدًا في حصن ذهبان[٧]، بحسب وصف إدريس الأنف، الذي انفرد بإيراد قصيدته، التي مطلعها:

ألاَ أبلِغَا أَبْـنَا علِـيِّ بنِ حاتمٍمَقالاً لهُ شُمُّ الشَّنَاخِيبِ تَـرجُـفُ

(١) الخبر موجزا في"قرة العيون": ٣٢١-٣٢٢.

(٢)أورد صاحب "السمط الغالي الثمن": سار الأمير أسد الدين محمد بن الحسن آل رسول، والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، والعساكر المظفرية إلى مدينة صعدة، وكان فيها يومئذٍ الإمام أحمد بن الحسين، فهربَ الإمام بنصف عسكره، ولم يفلح النصف الآخرفي الدفاع عن صعدة، فدخلها جيش الدولة الرسولية، وتمّ تعْيينُ والٍ للرسوليين فيها، وعاد الأميران إلىصنعاء."السمط الغالي الثمن" ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) هو أسدَ الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، عمل واليًا على صنعاء لعمِّه السلطان المنصور عمر بن علي رسول مؤسس الدولة الرسولية في اليمن سنة (٦٢٦هـ)، فلما قُتِلَ هذا السلطان سنة ٦٤٧هـ حاول أسد الدين القفز إلى سُدّة الملك، لكن ابن عمه الشابّ يوسف بن السلطان المقتول، تمكن من الإمساك بعُرَى ملك أبيه وتلقب بالمظفر وبسط نفوذه، فعاد أسد الدين إلى طاعته،لكنه كرر الخروج عنه..وفي سنة ٦٥٨هـ،أنزله المظفرُالسجنَ في حصن تعز. ينظر "السمط الغالي الثمن" ص٣٤٤هـ، وظل في سجنه حتى توفي سنة ٦٧٧هـ. ينظر:"العقود اللؤلؤية" ١/١٧٩.

(٤) ينظر "السمط الغالي الثمن" ٣٤٣ و٣٥٤-٣٥٨.

(٥) ينظر: "السمط الغالي الثمن" ٣٤٣-٣٤٤.

(٦) ينظر: "السمط الغالي الثمن" ٣٥٥-٣٥٧.

(٧) حصن ذهبان في الجزء الشمالي من مدينة صنعاء، وعلى أنقاضه أقيم مبنى تلفزيون اليمن.

وأرسلها إلى بني عمه في حصن ذمرمر[١]، ولا شك أنَّ عمره لم يطلْ بعد السنة المذكورة. وسنورد قصيدتيه فيما تبقّى من شعره.

٦) [سالم بن] عزان بن سعيد بن بشر:

لم يتوفر لنا من المعلومات ما يغني في التعريف بهذا الشاعر، غير الإشارة إلى القصيدة التي أوردها صاحب "نزهة الأفكار" أيضا، حيث ذكر الحاتميين من أبناء السلطان علي بن حاتم وأحفاده، فقال: «وانتهى الحال بهم أنْ خرجوا من حصنهم المنيع وطودهم الرفيع، يقول [سالم بن عزان] الحاتمي قصيدةً، وجعلها إجابةً لأبيه بالقصيدة الأولى،[وجاء بالقصيدة التي أولها]:

وذلكَ أنَّ الدّهرَ أحدثَ بينهمْ حوادثَ عُـقْباهَا تُـبِـيدُ وتُـتْـلِفُ...»[٢]

وهو يؤكد أنّ قائلها هو أحد أبناءعزان بن سعيد بن بشر بن حاتم، والغالب أنّ اسمه سالم[٣]، وهو في القصيدة يصلُ ما كان قد انتهى إليه والده، ويُكمِلُ قصةَ فشلِ أمر أبناء عمه، وتنازلِهم عن حصنٍ من أعظم حصون اليمن آنذاك، وهو حصن ذَمَرْمَر الشهير الذي أعجز الملوك، وأفشل خطط حصارهم زمنا طويلا، وتوجَّع سالم بن عزان كتوجع والده مما حلّ بأصحاب الحصن، وما كان من عصيانهم للنصيح الحاني عليهم، وفي آخر الأمر اشترى السلطان المظفر منهم حصنَهمذاك، وأخرجهم منه وأكرمهمبما هو دونه. وقصيدة سالم هذه على وزن قصيدة أبيه وقافيتها، وهي ما تبقى من شعر هذا الشاعر.

٥- ما تبقَّى من شعر أولاد بشر بن حاتم وأحفاده:

١) شعر عمرو بن بشربن حاتم:

(ق١)[٤]

[الطويل]

١- أمَوْلايَ ما أسْرِي بِـبدعٍ فلم يَزَلْ كذا الناسُ مأسورٌ وآخرُآسِـرُ[٥]

٢- وإنْ ظَفِرَ المَـولَى بنا وبِحِـصْنِنا فللَّهِ مَظْفُورٌ! ولله ظافرُ!

(١) ينظر: مخطوطة نزهة الأفكار، لوحة ٧٠، لقطة ٠٣٣٦.

(٢)قالإدريس الأنف: نزهة الأفكار، لوحة ٧١ وجه (ب)، لقطة ٠٣٣٥.

(٣) ينظر: نفسه.

(٤) القصيدة في "السمط الغالي الثمن" ص ٣٥، و"العسجد المسبوك"، ص١٦٥-١٦٦، و"قرة العيون" ص٢٧٩، وقد أخلَّت "قرة العيون"بالأبيات (٣ و٤ و١٠)، والأبيات كلها في مخطوطة: نزهة الأفكار وروضة الأخبار، إدريس الأنف، لوحة ١٠،لقطة ٠٣٩٦.كتبها عمرو بن بشر إلى والده، وهو وأخوه في أسْرِ الملك العزيز طغتكين، وذلك في ذي القعدة من سنة ٥٨٥هـ.

(٥) أثبتنا رواية "السمط الغالي الثمن"؛ وفي "العسجد المسبوك"، ص١٦٦"قلم أكن لدى البأس" ويبدو أنه من وهم الناسخ.

٣- مَلِيكٌ عزيزٌ، لايُـعَـيَّـرُ، نَابِهٌ لَسَانٌ، مُـذِلٌّ للجـبابرِ قاهرُ[١]
٤- فلا غَروَ كَمْ مَنْعٍ قهرْنا، وسيدٍ أسـرْنا، وأعطـتْـنا الـمَـقادَ العشائرُ
٥- على ذا مَـمَـرُّ الدهرِ عسْـرٌمُـبَـدَّلٌ بِـيسـرٍ قـضَـتْـهُ حكمةٌ ومَقادرُ
٦- فلا تحسبَنْ أنّـي جَزُوعٌ لِمَا جَرَى وحَـقِّكَ إنّـي صادقُ العَزمِ صابرُ
٧- وما أنَا أخشَى غيرَ قولِ أراذِلٍ: أَوَالِـدُهم عن فكِّهِمْ مُـتَـقاصِرُ؟!
٨- وما شعروا أنَّ العَظائِمَ كُلَّها الْـ ـكِبارَ وإنْ هالَتْ لديكَ أصاغِرُ
٩- لسَعْدِ علِـيٍّ مُلْكَ همْدانَنَرْتَجِي وسعدُكَ أنْ تنجابَ عـنَّـا الدّياجرُ[٢]
١٠- فما إنْ لنا إلاَّكَـمَا بعدَ ربِّنا وعطفٌ من المَولَى مُعِينٌ وناصِرُ[٣]

٢ - شعر علوان بن بشر بن حاتم:

(ق٢)[٤]

[الوافر]

١- أَسَاداتِ الوَرَى مِن كُلِّ حَيٍّ وأسْمَى في المعالي مَنْ يُسامي
٢- وأَرْبَطَها لدَى الهَـيْجَاءِبـأسًا[٥] وأحـماها[٦] إذا عُـدِمَ الـمُـحامِي
٣- أُهَـنِّـئُـكمْ قُدُومَ العيدِ فَـرضًا علَـيَّ، فعُدْتُمُ[٧] في كلِّ عامِ
٤- وأُهدِي نحوَكمْ أزكَى سَلامي إلى المأمومِ منكمْ والإمامِ
٥- وأسمَعُكم[٨]: أحَـقًّا ما سَمِعْنا فما يَشفي سِوَى صِدقِ الكلامِ
٦- بأنَّ جُـمُوعَكمْ طَـارتْ شَعَاعًا[٩] ولَـمَّا تَـخْـشَ عاقبةَ المَـلامِ
٧- ووَلَّتْ غيرَ كاسِبَةٍ ثـناءً فِـرارًا لَـمْ تَـكِـرَّ ولَـمْ تُـحَـامي
٨- سِوَى عـشـرٍ، فَحَـيَّا اللهُ عشـرًا تَحامَتْ مِن بَـنِـي حَامٍ وسَامِ

(١) رواية "السمط الغالي الثمن"، (يُغيَّرُ) بدل (يُعَيَّرُ)، وفي "العسجد المسبوك"(يعير ما به)، وفي مخطوطة نزهة الأفكار، لإدريس الأنف (يُعَيَّرُ)، وهي الأصوب لسياق المعنى، وأراد القول: إنّ أسرَنا من ملك قادر متمكن في البلاد، لا يُعدُّ مَسَبَّةً.

(٢) عَلِيٌّ المذكور في البيت هو:السلطانَ علي بن حاتم،عمُّ الشاعرِ، وضمير المخاطب في قوله:"وسعدك" يعود على والد الشاعر وهو بشر بن حاتم. في "قرة العيون":(الدوائر) بدل الدياجر. ص٢٧٩

(٣)هذا البيت ليس"العسجد المسبوك".

(٤)القصيدة والخبر في"السمط الغالي الثمن" ص١٧٩-١٨٨. وينظر: "العقود اللؤلؤية"، الخزرجي، تح: محمد الأكوع، ٤٣/١-٤٤،وينظر: "العسجد المسبوك": ١٨٤-١٨٦، و"قرة العيون"، ص٢٩٥-٢٩٧،غير أنّ البيت (٧) ساقط من "قرة العيون"، وأثبت الشامي القصيدة كاملة في "تاريخ اليمن الفكري":١٦٩/٣-١٧٠.كتبَهاالشاعرُبها إلى عِزَّ الدين محمد، بعد معركة عصر، وأخذَ يدعوه وقومه إلى الدخول في طاعة الدولة الأيوبية في اليمن، وموالاة واليها في صنعاء.

(٥)بَؤُسَ الرجلُ: كان شديدَ البَأْسِ شجاعًا. والمشهور في أسلوب العرب أنْ يقال: أربطهم جأشًا، وأشدهم بأسًا.

(٦) أحماها: أسرع مَن يقوم بحماية الحَي.

(٧) في "قرة العيون" ص٢٩٦ "قدمتم"

(٨) كأنه قال: أريد أن أسمع منكم ما الذي حدثَ وكيف حدث؟! على سبيل التهكم لأنه يعلم ذلك.

(٩) طارت شَعاعا بفتح الشين: تفرقت.

٩- ولم يَحْضُرْ مِنَ الأُمَراءِ إلاَّ شِهابُ الدينِ مَحمودُ المقامِ
١٠- ونورُ الدينِ والبدرُ المُرَجَّى لُيوثُ الحربِ في يومِ الصِّدامِ
١١- وخَيْلُهمُ إلى مِئَةٍ وعشرٍ وهُمْ ما بَينَ رَمَّاحٍ ورامِي
١٢- فماذا تصنَعُونَ[١] إذا ألَمَّتْ جُنودُ المُلْكِ في يَمَنٍ وشامِ
١٣- ولاحَتْ رايةُ المَسْعودِ[٢] فيها كلائِحَةٍ على أرجاءِ طَامِ؟[٣]
١٤- هُنالِكَ تنْدَمونَ ولا مَحِيصٌ إذا حُمَّ القضاءُ لدَى الحِمَامِ[٤]
١٥- فإنْ تَقْبَلْ نَصِيحَةَ ذي وِدادٍ فإنَّ النُّصْحَ مِن شِيَمِ الكِرامِ
١٦- أتَيْتُمْ[٥]طَائِعينَ إلى مَلِيكٍ شريفِ النفسِ ذي مِنَنٍ جِسامِ[٦]
١٧- فَتًى هَزَّتْ بَنُو أيُّوبَ منهُ حُسَامَ مَضَى يَفُلّ شَبا الْحُسامِ[٧]
١٨- وقَلَّدَتِ الأمورَ إليهِ لَمَّا غدَا لا بالدَّدانِ ولا الكَهَامِ[٨]
١٩- وقالتْ عندَ ذلك قولَ فَذٍّ أديبٍ شاعرٍ حسنِ النظامِ:
٢٠- فأعْطِ القوسَ باريها ودعْها فقد أوْدَعْتَها في كَفِّ رامِي
٢١- فَذَبَّ بِرأْيِهِ[٩] والسيفِ عَنْهُمْ وقامَ بِمُلْكِهِمْ أوْفَى قِيامِ

٣) شعر مدرك بن بشر بن حاتم:

(ق٣) [١٠]

قال: [الكامل]

١- غُضِّي رَناكِ عنِ الْهِزبر المُخْدِرِ وقفي قليلا لا أبَا لكِ[١]، وانظري
٢- عما قليلٍ والفَلاةُ تَجُسُّها أيدي السِّباعِ بكلِّ ظُفرٍ أخْضَرِ[٢]

(١) في "قرة العيون" "يصنعون" ويبدو أنه وهم.
(٢)هو المسعود الملك الأيوبي الخامس على اليمن وآخرهم فيها، سبق التعريف به.
(٣) طمى البحر: امتلأ وتلاطمت أمواجه.
(٤) المَحيصُ: المَحيدُ، والمَهْرَبُ، حُمَّ: الحمام: حان الموت.
(٥) "أتيتم: المراد أقبلوا.
(٦) منن جسام: عطايا كبيرة.
(٧)في "العسجد المسبوك"، ص١٨٦ "حساما قد"، وفي "قرة العيون" ص٢٩٧، "حساما قد يفل سنا الحسام" وهو وهمٌ. يفل حد السيف: يذهب به، شبا الحسام: حد السيف.
(٨) الددان: مَن لا غناء عنده، أي: لا فائدة منه. وكهم: كَهُمَ الرجل فهو كهامٌ وكَهِيمٌ:به بَطُؤ عن النّصرة والحرب، وفَرَس كَهام: بَطيء عن الغاية.
(٩) في "العسجد المسبوك" ص١٨٦ "برأسه" .
(١٠) انفرد "السمط الغالي الثمن": ١٨٦– ١٨٧بروايـة هذه القصيدة، وأثبتها الشامي في "تاريخ اليمن الفكري" ١٦٩/٣ عدا البيت الخامس.أنشأ الشاعر هذه القصيدةً بعد هزيمة الأشراف في معركة عصر وأرسلها إلى أميرهم عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة.

٣- ما بينَ مُنْجَدِلِيَخِرُّ لِوَجهِهِ ومُضَـرَّجٍ بدمائهِومُعَـفَّرِ[٣]
٤- فالبحرُ يـجْـزرُ بعدَ مدٍّ عُبابهِ الـ ـطـامي ولا عَجبٌ لِـجَـزرِ الأبـحُـرِ
٥- يا سطوةَ المِريخِ، لولا سطوةُ الْـ ـمَـقدورِ ما أيقظتِ طَـرْفَ المُشْتَـري
٦- يا عِـزَّ دين الله[٤]، كمْ من مُهْجَةٍ حمدتكَ حين سَلَلْتَ صافي الجَوْهرِ[٥]
٧-غادرتَ فيضَـرَمِ الوَطِيسِبحسّها والموتُ يمشـي مِشيةَ الـمُـتَـبختِرِ[٦]
٨- حتى تحامتْكَ العِدا وبتكْت أَسْـ ـبابَ الردَى وقطـعتَ أُمَّحَبَوْكَرِ[٧]
٩- فلأنـتـمُأولَى بـبَـيتٍ قـالـهُ حـسّانُ يُرْوَىفي قديمِالأعْـصُرِ
١٠- (فـتِـقتْ لكمْ ريحُ الجلادِ بعَـنْـبَـرٍ وأمدّكمْ فلقُ الصباحِ الـمُـسْفِرِ)[٨]
١١- فلـيَـهْنَـكمْ حَمْدُ المعالي بأُسَكمْ لـمّا تدانَى عسكـرٌ من عسـكرِ
١٢- هي غـلْطةٌ في الدهرِ لا بلْ غِـبْطَةٌ أوْدَتْ بسَهلِ الوِرْدِ ضَنْكَ المَصْدَرِ[٩]
١٣- إنْ لمْ تـكنْ أمسًا فقدْ كانتْ لـكمْ من قَـبْـلِـهِ وغدًا لـكمْفاسْتـبـشِـرِ

(ق٤)[١٠]

(١)الرنا من الرُّنُوُّ: وهو إدامة النَّظَر مع سكون الطَّرف، والهِزَبْرُ: الأسَدُ، الضَّخْمُالشديدُ. والمُخْدِر الواقف في خِدْره،أي في أجَمَته، والخِدْرُ: سِترٌ يُمَدُّ للجارية في ناحية البيت ثم صار كلُّ بَيْتٍ ونحوه خِدْرًا، "لا أبا لك" أي: لا أبا لك يستحق اللوم.

(٢) الفَلاة: في "السمط الغالي الثمن" "الغداة" وقراءة أحمد الشامي"الفلاة"، والمراد: القَفْر من الأرض لا ماءَ فيه، الجَسُّ: اللَّمْسُ باليد، "ظفر أخضر" الخُضْرَةُ في الألوان معروفة، وهنا أَشَدُّ الخُضْرَةِ تغدو سَوادًا.

(٣) كلمة "مُعَفَّر" أثبتها في الأصل "مغفر"، وقرأها أحمد الشامي "مُعَفَّر" وهي الصواب. والمُنجَدِل: من فارق الحياة قد خرّ على وجهه،فهو مُلْقى على الجَدَالةِ وهي الأَرض، ومضرج بدمائه: ملطخ بدمه، ومُعَفَّرُ الوجه؛ إذا ضَربْتَ به الأَرضَ فمغَثْتَه.

(٤) المنادَى: عزالدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، الذي قاد الأشراف في معركة عصُر المذكورة.

(٥) المُهجةُ: دم القلب، ولا بقاء للنَّفْسِ بعدما تُراقُ مُهجتُها، "حين سللتصافي الجَوْهرِ"حين تمكنت من الحكمة، وأخرجت أقاربك وأصحابك وفررت بهم.

(٦) ضرم النار: اشتعالها. الوَطِيس: التنور، وحُفَيْرَةٌ يختبز فيها ويشوى، والمراد هنا المَعْرَكة لأَن الخيل تَطِسُها بحوافرها، شُبِّه حَرّ الحَرْب به.

(٧) البَتْك: القطع. الرَّدَى: الهلاكُ. أمُّ حَبَوْكَرٍ: الداهية.

(٨) هذا البيت هو مطلع قصيدةٍ للشاعر ابن هانئ الأندلسي (٣٢٦-٣٦٢هـ). "تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي"، زاهد علي، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٣٢م، ص٣٢١.و"ديوان ابن هانئ الأندلسي"، تقديم كرم البستاني، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٠م، ص١٦١.

(٩) الوِرْدُ: الماء الذي يُورَدُ، والإبل الواردة. والصَّدَرُ: نقيض الوِرْد. الضَّنْكَ: الضِّيقُ من كل شيء.

(١٠) القصيدة في "السمط الغالي الثمن"، ١٨٧- ١٨٨، و"العقود اللؤلؤية"، للخزرجي، تح: الأكوع، ١/٤٥ -٤٦، و"العسجد المسبوك"، ١٨٧-١٨٨، والأبيات (١و٢و١٠) مع الخبر في نزهة الأفكار، لإدريس حميد الدين، لوحة ٥١، لقطة ٠٣٥٥. وأورد مؤلف "قرة العيون" الأبيات (١و٢ و٤و٥ و٩ و١٠)، وأوردها أحمد الشامي كاملةً في "تاريخ اليمن الفكري" ٣/١٧١. وأنشأها الشاعر بطلب من الوالي الأيوبي على صنعاءالأمير بدر الدين حسن بن علي بن

وقال: [الطويل]

١ - سَلا ذاتَ سِمْطِ الدُّرِّ والـمَارِنِ الأقْنَى[١] لدى عَصْرِ مَنْ أصْدَقَ الضربَ والطعنا
٢ - ومَنْ شهِدَتْ صنعاءُ: لولا بلاؤهُ لَمَا فارقتْ رُعْبًا ولا رافقتْ[٢] أمْنا
٣ -وقدْ كانتِ البيضُ الخرائدُ خيفةَ الـ ـسّبَا[٣] من أعادينا أسَأْنَ[٤] بنا الظنَّا
٤ - فلمَّا تدانَى الفيلَقَانِ عشِيَّةً غدا الهامُ فيها منهُمُ والظُّبَا مِنَّا[٥]
٥ -ورحْنا إلى قصرِ القليسِ[٦] نُصافِحُ الْـ ـكؤوسَ ويُغنينا النديمُ وقد غَنَّى[٧]
٦ - وخيلٍ حشوناها الأسنَّةَ[٨] بعد مَا تكدَّسْنَ[٩] مِنْ هُنَّا علينا ومن هُنَّا
٧ - ضُرِبْنَ إلينا بالسِّياطِ جهالَةً فلمَّا تعارَكْنَا ضُربنَ بِها عنَّا[١٠]
٨ - وشيمتُنا وصلُ السيوفِ بِخطْوِنَا إذا أقْصَرتْ حتى تُبيدَ العِدَى طَحْنا
٩ - ونحنُ مَتَى شِئْنا دسَرْنا[١١] عدوَّنا ولا نَحْتَقِبْ[١٢] حِقدًا دفينًا ولا ضِغْنا
١٠ - فلا زالَتِ الأخبارُ منكمْ تَسُرُّنا كما سرَّكمْ في مِصرَ مَخْبَرُكُمْ عَنَّا

رسول،وتتضمن ما دار في معركة عصر، وكتبَ بها إلى الملك الأيوبي على اليمن المسعود، فوصلتْ إليه وهو في مصر.

(١) سلا: فعل أمر للاثنين، من سأل. السِّمْطُ: قِلادةٌ أَطولُ من المِخْنقةِ، والجمع: سُموطٌ. الدُّرُّ: اللؤلؤة. والمَارِنُ: ما لانَ من الأَنف. والأنف الأَقْنَى المرتفع مع احْديدابٌ في وسطه وسُبُوغٌ في طرَفه.

(٢) في "العقود اللؤلؤية" ٤٥/١ و"العسجد المسبوك"، ١٨٧: (وافقت)، وفي "تاريخ اليمن الفكري" للشامي ١٧١/٣ "فارقت" وهو سهو.

(٣)البيض الخرائد: النساء الجميلات، في "العسجد المسبوك" ص١٨٧ "النسا"، والسِّباء: الأسر والسبي.

(٤) رواية "السمط الغالي الثمن": ١٨٧ "أساءت"، وكذا في "تاريخ اليمن الفكري" للشامي١٧١/٣، وفي "العقود اللؤلؤية" ٤٥/١ "أساء" ورواية "العسجد المسبوك" ١٨٧، هي الصواب.

(٥) الفيلقان: الجيشان.الهامَة: الرأْس، والجمع هامٌ. ظبا: الظُّبَة: حدّ السيف والسِّنان والنَّصْل والخَنْجر وغيره.

(٦) قال الأكوع: القليس: قصدَ قصرًا كان يسمى بقصر القليس بصنعاء.

(٧) رواية "العقود اللؤلؤية" " يُغَنِّيا النديم الذي غنّى".

(٨)الأسنة: جَمْع سِنان للرمح،ورواية "حشوناها الأسنة" هي رواية "السمط الغالي الثمن" ١٨٨، و"العسجد المسبوك" ص ١٨٨،، أما رواية "العقود اللؤلؤية" فهي: "غشتنا بالأسنة " وقد اختارها الشامي في "تاريخ اليمن الفكري" ١٧١/٣، وهي رواية لا تتفق مع السياق.

(٩) تكدس الشيء: تجمع.

(١٠)البيتان في قصيدة للمتنبي، ضمّنهما الشاعر قصيدته، ينظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م، ٢٩٩/٤.

(١١) الدسر: الطعن والدفع.

(١٢) في "العقود اللؤلؤية" و"العسجد المسبوك"(نحتقد) وفي "السمط الغالي الثمن" "نحتمل" وأحسب الصواب " نحتقب" واستبدال الدال بالباء تصحيف، ومعنى نحتقب: نخبئ في صدورنا، وهو أصلح للمعنى.

٤) شعر عزان بن عمرو بن بشر:

(ق٥) [1]

قال: [الطويل]

١- لضَرْبُ طُلًى[2] بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ وطَعنُ الكُلَى بالذابِلاتِ[3]اللَّهاذِمِ
٢- وحَمْلُ رؤوسِ الدارِعينَ علَى القَنَا تُحَيْتَ عَجاجِ القسْطَلِ[4] المُتراكِمِ
٣- وكَرُّ عَوَادي الخيلِ تُرْمى كُلُومُها علَى ضُمَّرِ الخيلِ العِتَاقِ السَّوَائِمِ
٤- أحَبُّ إلى ذِي اللُبِّ مِن ضَيمِ ساقِطٍ لَئِيمٍ واشهَى مِنْ ظُلامَاتِ ظَالِمِ
٥- فَمَنْ مُبلِغٌ همدانَ عَنَّا أَلُوكَةً[5] ولاسيَّما الساداتِ مِن آلِ حَاتِمِ
٦- ويعلِنُ في يَامِ ابْنِ أصْبَا نِدَاءَهُ فيَامٌ حُماةٌ مِنْ حُمَاةٍ أكَارِمِ
٧- ويَهتِفُ في حَيِّيْ بَكِيلٍ وحاشِدٍ لِكُلِّ هِزَبْرٍ فِي الهِياجِ ضَيَاغِمِ
٨- بأنَّ الرُّقَيْمِيَّ ارْتَقَى عَوْدَ[6] مَجْدِهِمْ فصَدَّ أعَالِيهِ بِأَيْدِي المَظالِمِ
٩- أغَارَ علَى زَرْعِي بِأَلْأَمِ عُصْبَةٍ فأصبحَ زرعِي مِنهُ صِفْرَ المَعالِمِ
١٠- وحَكَّمَ في زرعِي كِلابَ صِحَابِهِ ولَمْ يُمْسِ فيما كانَ مِنْهُ بِنَادِمِ
١١- ولوْ كانَ ذا رَأْيَ الإمَامِ لَسَرَّنيولم تدْخُلِ الأضْغانُ بينَ الحَيازِمِ[7]
١٢- وطاوَعْتُ فيما كانَ في آلِ حَاتِمٍ فما زالَ في الأحْكامِ أعْدَلَ حاكِمِ
١٣- ولكنَّها آراءُ كلبٍ وقلَّ مَا نُحَكِّمُ رأْيَ الوَغْدِ وَاهِي العَزَائِمِ
١٤- بِرَبِّي لقد عَدَّى الرقيميُّ طورَهُ وقامَ علَى همدانَ قَوْمَةَ نَاقِمِ
١٥- وما كنتُ عن قتلِ الرقيميِّ عاجِزًا ولو أنَّه ليثُ الكِفَاحِ ابنِ ظالِمِ
١٦- ولكنَّ راقبْتُ الإمَامَ ومَعْشَرِي بنِي حاتِمٍ أهلِ الندَى والمَكَارِمِ
١٧- عرفتُ لِقَوْمِي عِزَّةً وحَمِيَّةً تُفَرِّقُ ما بينَ الطُّلَى والجَمَاجِمِ
١٨- وفي مَذْكَرٍ[8] مَن ليسَ يذهبُ وِتْرُهُ ولو أنَّهُ بينَ السُّهَا والنَّعَائِمِ
١٩- وما دَامَ في همدانَ مَن يُرْعِفُ القَنَا بَلَغْتُ المُنَى بالمرهفاتِ الصّوارِمِ

---

(١) القصيدة في مخطوطة نزهة الأفكار،إدريس الأنف، لوحة ٥٦، لقطة ٣٥٠. ولوحة ٥٧، لقطة ٣٤٩. أنشأها عزان بن بن عمرو في سنة ٦٤٨هـ أو في أوائل سنة ٦٤٩هـ، وأرسلها إلى قومه بحصن ذمرمر،يندد بالرقيمي عامل الإمام أحمد بن الحسن الذي قام بخراب زرعه وأمواله، ويستنجد بهم لنصرته.

(٢) الطُّلَى: الأعناق.

(٣) رمح ذابل: دقيق.

(٤) العَجاج والقسطل: الغبار.

(٥) الألُوكة: الرسالة.

(٦) العَوْد: الجَمَلُ المُسن.

(٧) الحَيْزوم: وسط الصدر، والحيازم: الضلوع.

(٨) مَذْكَر: جدّ متقدم للهمدانيين، مفتوح الميم، ساكن الذال، مفتوح الكاف، كذا ضبطه محقق "السمط الغالي الثمن": ٢٣٦.

٢٠- وكافَيْتُ أكَفائِي فأمَّا محمّدٌ[١] فأكفَاؤُهُ الأنذَالُ أهلُ المَحَاجِمِ
٢١- خليليَّ، ما مِثْلِي علَى الضيْمِ صابرٌولوْ شَجَرَتْ سُمْرُ القنا في الغَلاصِمِ[٢]
٢٢-أأُغْمِضُ طَرْفِي دُونَ ثَأْرِي ومَعْشَرِي بنُو حاتمٍ أهلُ العُلَى والمكَارِمِ
٢٣- وألبسُ ثوبَ الذلِّ؟ إنِّي لزُمَّلٌ[٣] إذًا، وسِناني ذي بَذَلتُ وصَارِمِي
٢٤- وفي ذَرْوَةِ الطَّوْدِ المُنِيفِ ذَمَرْمَرٍ[٤] ضَراغِمُ حَرْبٍ كالليوثِ الضَّرَاغِمِ
٢٥- غَطاريفُ مِن آلِ الحُمَيْدِ بنِ أحمدٍ خَضَارِمُ تَزْرِي بالبحور الخَضارِمِ
٢٦- وفي حِصْنَيِ الفِصِّيْنِ مِنَّا عِصَابَةٌ كأُسْدِ الشَّرَى في المأْزَقِ المُتَلاحِمِ
٢٧- إذا اسْتَلْأَمُوا الغُدْرَانَ والنَّقْعُ ثائِرٌ جَلَوْا لَيْلَهُ بالمرهفاتِ الصّوارِمِ
٢٨- بَنِي حاتمٍ هَلَّا دَعَتْكمْ لِنُصرتِي حَمِيَّةُ همدانٍ أُسُود المَلاحِمِ

(ق٦)[٥]

قال (شاعر همدان)، والراجح عندنا أنه عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم وسنبين ذلك في الدراسة:

[الطويل]

١- حلبتُ زمانِي يا ابنَةَ العمِّ أشْطرَا وقلَّبْتُ آرائِي بُطُونًا وأظْهُرَا[٦]
٢- ورُمْتُ فلمْ أُقْدِمْ على ما أرُومُهُ[٧] مخافَةَ أُرْضِي الشامِتِينَ وأضْجَرَا
٣- ولا ساعدَتْنِي هِمَّةٌ مَذْكَرِيَّةٌ على أنْ أُرَى عن مذهبِي مُتَنَكِّرَا[٨]
٤- فمَنْ يُبْلِغُ المنصورَ عنَّا شَكِيَّةً[٩] ويبلغُ يحيى بنَ الحسينِ وجَعفرَا
٥- ومَنْ مُبلغٌ عنَّا النَّبِيَّ محمدًا ومَن مُبلغٌ عنَّا البتولَ وحَيْدَرَا[١٠]

(١) محمد هذا هو الرقيميعامل الإمام.
(٢) الغلاصم: جمع غِلْصِمَة وهي رأس الحلق.
(٣) الزُّمَّلُ: بمعنى الضعيف الجبان الرَّذل.
(٤) ذمرمر: حصن آل حاتم، وسبق ذكره.
(٥) القصيدة في "السمط الغالي الثمن": ص٢٣٦-٢٣٩.وفيه خبرها، وينظر الدراسة (عزو القصيدة إلى عزان بن عمرو بن بشر) فيما يأتي. والأبيات ٥-١١ في مخطوطة نزهة الأفكار،لإدريس الأنف، لوحة ٥٦، وجه (أ)، لقطة ٠٣٥٠.وكان إدريس قد أتبعهابقصيدة عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم، (لضرب طُلى...).
(٦) قلّبتُ آرائي، أي: على كل حال، قبل أن أتخذ قراري.
(٧) روم: رام الشيءيَرومُهُ: طلبه.
(٨) الشاعر زَيْدِيٌّ المذهب،وكان بودِّه أنْ يُخلِصَ للإمام، لكنه لما ظهرتْ من الإمام أمورٌ لا يرضاها تحَوَّل عنه. ينظر: الشامي، تاريخ الفكر في اليمن ١٩٤/٣.
(٩)شكوتَ فلانا أشكوه: أخبرتَ عنه بسوء فعله بك.
(١٠) يذكر الشاعرُ السابقين من الأئمة [الزيدية في اليمن] كالمنصور بن حمزة، والهادي يحيى بن الحسين،كما ينظر إلى (جعفر)، ولعله الصادق (ع)، وإلى (البتول):وهي فاطمة رضي الله عنها، و(حيدر): علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وإلى الرسول محمد ، ليشكو إليهم هذا الإمام الذي لم يقَدِّر حقَّ همدان في دعوة الإسلام ولم يرعَ جاه الشاعر، ولا منصبه.

٦- بأنَّ إمـامًا[١] قامَ بعدَ ابنِ حَمْزَةٍ[٢] أقامَ حـقـوقَ الدينِ حَوْلاً وأشْهُرَا
٧- فلمَّا استقلَّتْ فِي أَزَالَ[٣] رِكَـابُـهُ أناخَ على الإسلامِ حتَّى تَدَعْثَـرَا[٤]
٨- أبـاحَ دمـاءَ المسلمـينَ ومـالَـها وكانَ رجَـاهَا[٥] أنْ يَـقُـومَ ويُـنْصَـرَا
٩- فَيا معشـرَ الإسلامِ لَمْ يبقَ مُنْصِفٌ ولا مُـنـكِـرٌ إلا أتى اللهَ مُـنـكِـرَا[٦]
١٠- فإنْ تثأروا أو تنكِروا كانَ عاجلا وإلاَّ قصدْنا الأريَحِـيَّ المظـفَّـرَا[٧]
١١- كبيرَ بني غسَّانَ وابنَ كبيرِهِمْ وحامي حِـماها، أنْ يُضَامَ ويُـقْـهَـرَا
١٢- فـتًى هَـمُّـهُ فتحُ الثغورِ وسدُّها إذا كان هَمُّ النِّـكْـسِ كـأسًا ومِـزْهَـرَا[٨]
١٣-حَمَى الْـمُـلْكَ بالبِيضِ الصوارمِ والقنا فأنسَى بكسـرَى فِي الملوكِ وقيْصـرَا[٩]
١٤- وشادَ العُلَا حتَّى استقرّتْ أصُولُها وشادَ عليها مَفْخَرًا ثمَّ مَفخَرَا
١٥-هنالكَ تلقَى النَّيْلَ والخيرَ والغِنَى وجُرْدًا تُبَاري فِي الأعِـنَّـةِ ضُمَّرَا[١٠]
١٦-وزُرْنَا بَـرَاشًا[١١] والجـوادَ محمدًا[١٢] فمَنْ زارَهُ لم يغدُ فِي الناسِ مُعسِـرَا
١٧- هُمَامٌ كنصْلِ السيفِ يَهتَـزُّ لِلْعُلَى ويغشَى نواضيها[١٣] وُرُودًا ومَصْدَرَا
١٨- ويجلِبُها ما بين أحمرَ صَلْدَمٍ وأدْهَمَ كالليلِ البهيمِ وأشْقَرَا[١٤]
١٩- ويَرمي بِها رُكْـنَـيْ أزالَ[١٥] فلا تَرَى لِجَوْلَتِها إلاَّ صَـرِيـعًا مُعَـفَّـرَا[١٦]

(١) هو الإمام أحمد بن الحسين السابق الذكر.
(٢) الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان، ولد سنة ٥٦١، وتوفِيَ سنة٦١٤هـ.
(٣) أزال: من أسماء مدينة صنعا.
(٤) أناخ على الإسلام: أي ضربًا. والمُدعثَر: المهدوم.
(٥)رجاها: ما ترجوه وتريده،وقصَرَالشاعر الاسم الممدود، لأجل استقامة الوزن.
(٦)في "السمط الغالي الثمن" (إنّا إلى الله مُنكِرَا)، وهو تصحيف؛ إذ جعل (إلا): (إنا)، وجعل (أتى): إلى، وفي تاريخ اليمن الفكر للشامي (يدعو إلى) ١٩٠/٣.
(٧) المظفر: السلطان الثانيللدولة الرسولية فِي اليمن (٦٤٧-٦٩٤هـ).
(٨) الثغْرُ: ما يلي دار الحرب،وموضع المَخافَة من فُروج البُلْدان. والنِّكْسُ من الرجال:الضعيف المُقَصِّر عن النجْدَة والكرم.والكأْس: الكوب فيه شراب. المِزْهَر: العُودُ يُضْرَبُ به.
(٩) النِّسْيُ: ما سَقَطَ من الأمتعة ونُسِيَ. (أنْسَبكسرى وقيصرا) أي: أنّ الناس لما رأوا عظمته تناسوا كسرى وقيصر.
(١٠) فرس أَجْرَدُ: قصير الشعر، وذلك من علامات العِتْق والكَرَم، وتَضْميرُالخيل أَن تُشَدّ عليها سُروجُها حتَّى تَعْرق تحتها، فَيذهب رَهْلُها ويشتدّ لحمها.
(١١) براش: حصنٌ منيع من جهة شرقي جبل نُقُم. ينظر "قرة العيون"، تح: محمد الأكوع، هامش ص٢٠٤.ونقم هو الجبل المطل على صنعاء.
(١٢) المقصود به محمد بن حسن بن علي بن رسول. تولّى صنعاء لعمه السلطان المنصورعمر بن علي رسول، فلما قُتل السلطان سنة: (٦٤٧هـ) هاجمَ الإمامُ صنعاء ودخلها، فنزح هذا الوالي عنها إلى حصن براش.
(١٣)النضو: الدابّة أهزلتها الأسفار، وأراد: الخيل.
(١٤) يجلبها؛ يأتي بالخيل وعليها فرسانها.الصلدم: المُحْكَم الخِلقة تشبيها له بالحجر الصلد.
(١٥) أي: يقدم بها من جانبي صنعاء ليحيط بأعدائه.
(١٦) معفَّرُ الوجه:مناعْتَفَرْتَه اعْتفارًا إذا ضربتَ به الأَرض فمغَثَتْه.

٢٠- كَفِعلِ أبيهِ[١] يومَ جرَّدَ سَيْفَهُ عَشِيَّةَ لاقَى الألفَ أبلَجَ مُسْفِرَا
٢١-ومِنَّا لهُ الإسْعادُ بالطعنِ فِي الكُلَى وضربِ الطُّلَى حتَّى ترَى النَّقعَ أكْدَرَا[٢]
٢٢-وما ذاكَ للمهديِّ بُـغْـضًا ولا جَـفَا ولا مَخْـرَجًا مِنْ مَذهبِكانَ أزْهَرَا[٣]
٢٣- ولا خُطَّةً نَخْشَى مِنَ اللهِ إثْمَهَا ولكنَّهُ أبدَى العُـقـوقَ وأضْمَرَا[٤]
٢٤-وأرضَى سَعِيْدَ الشَّوْحَطِيَّوجِنْسَهُ وأغضبَ مِن صيدِ القبائِلِ مَعْشَـرَا[٥]
٢٥- وقد قالَ فِيهِمْ شاعرٌ ذو فصَاحَةٍ غَدَا بسديدِ الرَّأْيِ والفعلِ أخبرَا
٢٦- ولا تُغضِبُوا بالعزْلِ أقيالَ معشرٍ إذا غَضبوا علَّ القَنَا وتكسَّرَا[٦]
٢٧- أيضحَى سليلُالمَذْبَحِيِّ مُـقدَّمًا وتاجُ بني يامِ بنِ أصبَى مُؤخَّرَا[٧]
٢٨- إذنْ سُقِيَتْ همْدانُ كـأسًا مَريرَةً ولا حُـرِمَتْ كـأسًا من الموتِ أحْمَرَا
٢٩- ألاَ فاشْهدوا أنِّي عذَرْتُ ابنَ أيْهَمٍ رئيسَ بني غسَّانَ لَمَّا تَـنَـصَّـرَا[٨]
٣٠- فوَاللهِ لولا اللهُ لا شيءَ غيرهُ لَيَرْكَبُ فِيها كِبْرَهُ مَنْ تَكَبَّرَا
٣١- فقلْ لِذُرَى قحطانَ للهِ دَرُّهَا وخُصَّ بِها همْدان قومِي ومَـذْكَـرَا[٩]
٣٢-عَلامَ وفِيمَ اليومَ تُغْضِـي علَى القَـذَى؟[١٠] أكانَ لها عُـذْرٌ هـناكَ فَـتُـعْـذَرَا؟

(١) ذكَّر الشاعرُ الأميرَ الرسولي محمد بن الحسن، بفعل أبيه يومَ كان واليا على صنعاء من قبل الملك المسعود الأيوبي، الأيوبي، بوقعةِ عَصُر التي انتصر فيها بالقليل من الفرسان على الأشراف الحمزاتوجموعهم. كما ذكَّرالأميرَ أنّ الهمدانيين كانوا فِي جنده وحصدوا معه ذلك النصر.

(٢) الإسعاد المساعدة والمعونة. الطُّلَى: الأَعناق. النقع الغبار.

(٣)المهدي: لقبُ الإمام أحمد بن الحسين.والمذهب الأزهر برأيه هو المذهب الزيدي.

(٤) والخُطَّةُ: الطريقة والأَمْر. يعود الضمير فِي قوله: (ولكنه) على ذلك الإمام.

(٥) لم نعثر فِي المصادر المتاحة على تعريف بسعيد الشوحطي، وربما كان من المقدمين لدى الإمام، وحصل بينه وبين بعض الحاتميين خلاف، فأخذ له الإمام منهم. والأَصْيَدُ: المَلِكُ، ومن يرفعُ رأسَه كِبْرًا.

(٦) إشارة إلى قول جدِّ الحاتميين القاضي عمران بن الفضل:

(ولا تَجْرحَا بالعَزلِ أكبادَ مَعْشَرٍ إذا غضبوا عَلَّ القَنا وتكسَّرا)

ينظر: "عيون الأخبار": ٣٧٣/٧، و"الصليحيون" حسين الهمداني: ١٣٧.وسنذكر البيت وخبره في الدراسة الآتية.

(٧)ربما كان المَذْبحي هو الشوحطي. يام بن أصبى: جدُّ الهمْدانيين.

(٨)جَبَلَةُ بن الأيهم من ملوكالغساسنة في الشام، كان في حِلْفِ الروم،ثم أسلمَ، لكنه غضِب لمّا أمْهله عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنْ ينصفَ الرجلَ الذي لطمه، أو يقتص منه، فأنف وفرّ إلى الروم وتنصّر. ينظر: "المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم"، عبد الرحمن بن الجوزي تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة، الأولى١٩٩٢، ج٥، ٢٥٦/٥، وما بعدها.

(٩) مَذْكَر: سبقت الإشارة إليه.

(١٠)الغَضاضةُ: الفُتُورُ في طرف العين؛ يقال: غَضَّ وأَغْضى إذا دانَى بين جفنيه ولم يُلاقِ. القَذى: ما يقع فِي العين والماء والشراب من تراب وغيره. فلان يُغْضي على القَذى،أي يسكت على الذلِّ والضيم.

٣٣- هو الموتُ أقصَى ما يُخَافُ ويُتَّقَى فما لِيَ لا أَلْقَاهُ نَدْبًا مُشَمِّرَا؟[١]

) شعر عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم:

(ق٧)[٢]

قال سنة ٦٥٢هـ: [الطويل]

١- سَلامُ مَشُوقٍ[٣] ودُّهُ ما تصرَّمَا يزورك من نجدٍ[٤]، وإنْ كنتَ مُثْهِمَا[٥]

٢- سلامٌ كنشْرِ الروضِ باكرَهُ الحَيَا فأضحَى أنيقًا مشرقًا مُتَبَسِّمَا[٦]

٣- يَخُصُّكَ مِنْ قُربٍ، وإنْ كنتَ نائيًا ويُهْدِي تَحياتِي فُرَادَى وتَوْأَمَا

٤- فيا أيُّها المِلْكُ المظفَّرُ والذي حَمَى قصَباتِ المُلْكِ أنْ تَتَهَدَّمَا[٧]

٥- ويا دافِعَ الْجُلَّى إذ الخَطْبُ مُبْهِمٌ[٨] وقدْ جَنَّ ليلُ الْحَادِثاتِ وأَظْلَمَا

٦- ويا مُخْجِلَ الأنْواءِ، والبرْقُ خُلَّبٌ إذا جادَ برقٌ مِنْ نَوالٍ وأسْجَمَا[٩]

---

(١) النَّدْبُ الفرسُ الماضي، نقيض البَليدِ. والنَّدْبُ: أَنْ يَنْدُبَ إنسانٌ قومًا إلى أَمر، أَو حَرْبٍ، أَو مَعُونةٍ، أَي يَدْعُوهم إِليه، فَيَنْتَدِبُون له أَي يُجِيبونَ ويُسارِعُون.

(٢) نسب محقق كتاب "السمط الغالي الثمن" ٣٠٧-٣١١ القصيدةَ للسلطان علوان بن بشر بن محمد بن حاتم،ثم أشار إلى أنها في مخطوطة السمط التي عدَّها أصلا لتحقيقه منسوبة إلى "عران" [كذا]، وأنها في المخطوطة (ق) وهي من نسخ التحقيق منسوبة إلى "عران" أيضا، وأنَّه جلب اسمَ (علوان) من النسخة التي رمز لها بـ(ع) وهي نسخة من مخطوطات كتاب "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي"، والواقع أنّ كتاب "العقود اللؤلؤية" لا يُعَدّ أوثقَ من مخطوطة "السمط الغالي الثمن" الأصلية التي قررتْ أنَّ القصيدة لـ"عران" ومثلها ما ذُكِرَ في النسخة (ل) التي رجع إليها في تحقيق "السمط الغالي الثمن"، ولاشك في أن (عران) الذي وردت القصيد منسوبة إليه في النسختين ما هو إلّا (عزان بن بشر بن محمد بن حاتم). والأبيات ١و٢٨-٤١ من القصيدة في مخطوطة نزهة الأفكار، لإدريس الأنف،وقد نسبها المؤلف إلى عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم، لوحة ٦٠ ولوحة ٦١ في اللقطتين ٠٣٤٦و٠٣٤٥،، والقصيدة في "العقود اللؤلؤية":١/ ١٠٦-١٠٨، والقصيدة في "العسجد المسبوك" مصورة وزارة الإعلام: ٢٢٤-٢٢٦ منسوبة للأمير عز الدين عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم، والأبيات: (١ -٩ و١٣ و١٤ و٢٠ -٢٣ و٢٥ و٢٦ و٢٩) في "قرة العيون" لابن الديبع، تح: محمد الأكوع، قال المؤلف: «وفي ذلك يقول الأمير عز الدين بن سعيد بن بشر بن حاتم ..» ص:٣٢١.

(٣) في "قرة العيون": ٣٢١ "محب"

(٤) في "قرة العيون": ٣٢١"مجد".

(٥) مشوق:من الشوق: وهو نزاع النفس نحو المحبوب. تصرم: تقطع.

(٦) النشر: الرائحة الطيبة. باكره الحيا: صبَّحه المطر. أنيق: حسن معجب.

(٧) رواية "السمط الغالي الثمن":"تتهضما". وفي "العسجد المسبوك" و"العقود اللؤلؤية" و"قرة العيون" "تتهدما".

(٨) في "السمط الغالي الثمن" "ويا دافع الجلاَّءِ والخطب منهم"، وفي "قرة العيون" ٣٢١ "الجلا"،ويشير محقق"السمط الغالي الثمن"إلى أنّ فيالنسخة (ع) "ويا دافع الجلى إذ الخطب مبهم"، وهي كذلك في العقود ١٠٧/١، ونرجح أنها الرواية الصحيحة. نظرا لسلامة المعنى بها، ولذا أثبتناها. و"الجلَّى: الأمر الشديد، والخطب العظيم.

(٩) في "السمط الغالي الثمن"ص٣٠٨"أسحما". الأنواء، واحدها: نوء وهو النجم مال للغروب، وطلع آخر يقابله في المشرق، وأصحاب حساب النجوم يربطون بين مطالع النجوم وأنائها وتقلبات الجو والمطر... ولذلك قالوا النوء: المطر. البرق الخلب: السحاب يومضُ برقه حتى يرجَى مطره ثم يتقشّع من غير مطر.

٧- ملكْتَ فلمْ تَـفْخَرْ، ونِلْتَ فلمْ تَطْلُوجُدتَ فلمْ تَتْرُكْ على الأرضِ مُعْدِمَا[١]
٨- وصُلتَ فلمْ تتركْ عليها مُـعانِـدًا ولو أنـَّـهُ يرقَى إلى الجوِّ سُـلَّـما[٢]
٩- إليكَ أبا المنصورِ أهدَيتُ أحْـرُفًا أبـثُّكَ أخـبارًا وإنْ كنتَ أَعْـلَـما[٣]
١٠- وأُثْـنِـي بِما أوْلَيتَـنِـي مِن صنائعٍ وأستـنجدُ الأخبارَ كي أشفِيَالظَّما[٤]
١١- واستـنْهِضُ العزمَ السعيدَ، وطالَـما حلَلْتُ به عـقْدًا مِنَ الهَمِّ مُبْهَما[٥]
١٢- لأنْـقِـمَ[٦] ثأرًا أو لأكبِتَ حاسدًا وأقضـي لُباناتِ النفوسِ وأنْـعُـمَا[٧]
١٣- فشمِّـرْ لِشَيدِ[٨]المجدِ إذ أنتَ أهـلُـهُ وتَـمِّـمْ علَى اسْمِ اللهِ تُـدْعَ مُـتَـمِّمَا
١٤- فلمْ يـبـقَ في الأقوامِ إلاّحُـثـالَـةٌ تَـهُـبُّ بها ريحُ الصَّبا إنْ تَـنَـسَّـما[٩]
١٥- نَـهـضْنَا بجيشٍ منكَ يطمِي[١٠] عُبابُـهُ يضيقُ به رحْبُالفَضَا حيثُ يمّما
١٦- يجوبُ بقاعَ الأرضِ شَـرقًا ومَغـربًا ويَطوِي رُباها مَـحْـرمًا ثمّ مَـحْـرما
١٧- ويغشى لظَى الحَربِ العَوانِ كأنَّـها[١١] طَنِينُ ذبابٍ عنده إنْ تَـرنّما[١٢]
١٨- نزلْنا بوادي الجوْفِ نَـرْعَى خَـمِـيلهُ[١٣] ونَذكُرُ عَهْدًا كان فيه تقدّما
١٩- فلَما قَـضَينا عِندَهُ[١٤] كُلَّ حاجَة وجُـبْـناالمَراسِي[١٥]، وهْوَ كانَ مُـحَـرَّما
٢٠- صَعَـدْنَ بِنَا أعْمَالَ صعـدةَ سُـنَّـحًا[١٦] تَـبَـارَى كأمْثَالِ السَّـرَاحِين سُهَّما[١٧]

(١) ربما قال الشاعر: (ملكتَ فلم تَفْجُر).لم تطل: لم تتكبر. المُعدِم الفقير المحتاج.
(٢) صُلتَ: من صال: سطا واستطال، ووثب.
(٣)(أبو المنصور)يقصد به الملك المظفر الرسولي. بثَّ الخبر: نشره.
(٤) رواية "العقود اللؤلؤية" ١٠٧/١ و"العسجد المسبوك": "وإني لِمَا أوليتني من صنائع * لأستنجد الأخبار..."إلخ.. وما أثبتناه رواية "السمط الغالي الثمن" ص ٣٠٨. وأثني: من الثناء والمدح.
(٥) رواية "العقود اللؤلؤية":"مبرما".
(٦) رواية "السمط الغالي الثمن" "لأنعم".
(٧)لبانة النفس: حاجتها من غير فاقة.
(٨)رواية "قرة العيون" "لنيل".
(٩) في العقود١٠٧/١ "تبسما". وريح الصبا: مَهَبُّهَا من المشرق إذا استوى الليل والنهار.
(١٠) في العقود١٠٧/١: "يطمو". وطمى البحر: ارتفع ماؤه وغمر ما يحاذيه من الأرض.
(١١) الحرب العوان:التي قُوتِل فيها مرةً بعد مرة. وفي "السمط الغالي الثمن" "كأنه" والهاء عائدة على الحرب.
(١٢) رنم: التَّرنُّمُ: التطريب والتغَنِّي وتحسين الصوت.
(١٣) في "السمط الغالي الثمن" ٣٠٩ والعقود ١٠٧/١ "جميله".
(١٤)"العسجد المسبوك"(نحوه).
(١٥)في "العسجد المسبوك" ص٢٢٥ "المواشي"، وفي العقود ١٠٧/١"المراشي".
(١٦)"السمط الغالي الثمن" ٣٠٩ (وصعِدت)، والعقود:١٠٧/١: (صعدت بنا أعمال صعدة صنحا)، وفي"قرة العيون"٣٢١: (صعدت بها أعمال صعدة سبحا). و(سُنَّحا) رواية "العسجد المسبوك": ٢٢٥، والسنح: اليُمْنُ والبركة.
(١٧) في "السمط الغالي الثمن" ص ٣٠٩ و"العسجد المسبوك" ص٢٢٥ (تباري كأمثال السراحين سهما)،أحسب الكلمة الأولى:(تبَارَى) من (تتبارى) الفعل المضارع، وبقية البيت "كأمثال السراحين سنحا" أنسبُللمعنى مما في رواية "العقود اللؤلؤية": " كأمثال الشموس تهتما"، والسراحين:الذئاب.

٢١- ولاَحَتْ على الأقطارِ أعْلامُيُوسفٍ[١] كأنّ شُعاعَ الشمسِ منها تَـبَسَّما[٢]
٢٢- وصَاحتْ طُيورُ السّعْدِ في[٣] كلِّ وِجْهَةٍ تبادِرُ بالـتَّـرحابِ إذْ كُنَّوُجَّـما[٤]
٢٣- فلا مَلِكٌ[٥] إلاّ وأرخَى قِيَادَهُ ولا قَائمٌ[٦] إلا تـوَلَّى وأحْـجَما
٢٤- ولا حيَّ إلا استيقظوا بعد هَجْعَةٍ وكانوا سُكارَى قبلَ ذاكَونُـوَّما
٢٥- ولله دَرُّ الأرْيَحِيِّ مُحمدٍ شَقيقِكَ محمودِالثّنَا مانعِ الحِمَى[٧]
٢٦- فَوَ اللهِ ما جشَّمْتَهُ لِمُلِمَّةٍ على مثلِ حَدِّ السيفِ إلا تَـجَشَّما[٨]
٢٧- ولا قُلْتَ: مهلا يا خليلي، وقد بدَا لهُ[٩] الشرُّ، إلا كَفَّ ثُمَّ تَـبَسّما
٢٨- فيا ابنَ الـمُلوكِ الغُرِّ منْ آلِ جَفْنَةٍ[١٠] غَدَا مجدُهمْ فوقَ السِّماكِ[١١] مُخَيِّما
٢٩- لأنْتَ صفِيُّ الوُدِّ إذ أنتَ أهلُهُ ولا أرتضِي إلاَّكَ رُكْنًاومَغْنَما[١٢]
٣٠- فلا يقْطَعَنْ بيني وبينكَ قاطعٌ إلى[١٣] أنْنزور جَنَّةَ الخُلْدِ فاعلَما
٣١- حَلَفْتُ برَبِّ الناسِ حلْفَةَ صادقٍ مُؤكَّدَةً لمْ أخشَ في ذاكَمَأْثَما
٣٢- وبالمصطفَى جدِّي وبالْمُرتضَى أبي[١٤] ومنْ طافَ[١٥] بالبيتِ العتيقِ وأحرَما
٣٣- لَوَ انِّي[١٦] رَأيْتُ الدِّين للهِ خالصًا وأُعْطِيتُ مُلكًا يملأُ الأرضَوالسَّما

(١)"قرة العيون"،٣٢٢"ولاحتْ من الأقطار أعمال يوسف"،وفي العسجد ص٢٢٥ "أعمال". والقُطْر، بالضم: الناحية والجانب، والجمع أَقْطار. وأراد الشاعر أعالي الجبال، ويوسف هو الملك المظفر وهو المقصود بالمديح في هذه القصيدة.

(٢) العقود١/١٠٧: "تسنما".

(٣)"قرة العيون"،٣٢٢"من".

(٤)رواية "قرة العيون" " حوما". والوُجومُ: السكوتُ على غَيْظ.

(٥) ملك: أراد: أمير قوم في ناحية.

(٦) قائم: أراد: مَن قامَ مُعْلِنًا نفسَه إمامًا.

(٧)هو الأمير أسد الدين محمد بن الحسن والي صنعاء لآل رسول، وهو ابن عمِّ السلطان المظفر، وكان يخرج عن طاعته طاعته ويعود، وجعله الشاعر أخًا للمظفر، من باب تقريب القلوب، إذ كانا في هذه الآونة على وفاق. ينظر التعريف بأسد الدين في هامش سابق.

(٨) جشّمه الأمرَ: كلَّفه القيام به على مشقة. المُلِمّة: الأمر فيه شدة.

(٩) في العقود اللؤلؤية "به".

(١٠) كان السلاطين من آل رسول في اليمن قد جاؤوا مع الأيوبيين، فلما استقر الملك بأيديهم فيما بعد أخذوا يربطون نسبهم باليمن، فقالوا: إنهم من سلالة آل جفنة الغساسنة، الذين هاجروا من اليمن إلى الشام واستقروا بها وصاروا أمراء فيها قبل الإسلام.

(١١) رواية "السمط الغالي الثمن" ٣١٠: "السماء"، وهي نفسها في "قرة العيون"٣٢٢. والسِّماك: نجم.

(١٢) رواية "السمط الغالي الثمن"٣١٠:"ركنا ومنعما"، ورواية العقود ١/١٠٧:"ركبا ومغنما".

(١٣) رواية العسجد، ص ٢٢٦ "ولا".

(١٤) قال الشاعر الحاتميهذه القصيدة على لسان شمس الدين أحمدَ بنِ الإمام عبد الله بن حمزة، يخاطب بها السلطان المظفرالرسولي، والضمير في قوله: "جدي" و"أبي"يعود على أحمد بن الإمام المذكور.

(١٥)في العسجد "بات".

(١٦)تحريك واو "لو" بالفتح وتحويل همزة "أنّ" في (لو أنِّي) إلى همزة وصل،كي يستقيم الوزن.

٣٤- لَمَا سَمَحتْ نفْسي بدِينٍ مُحمدٍولوْ لَمْ أذُق[١] من باردِ الماءِ مَطعَما[٢]
٣٥- ولَمَّا رأيْت الحَق مُلْقًى زِمامه وليسَ سِوَى الدُّنيا مُرادًا ومغْنَما[٣]
٣٦- تَنَكَّبْتُ[٤] عن تلكَ السَّبيلِ ولمْ أعُجْ عليها ولا في رَفْضِها متَنَدَّما
٣٧- وعُدْتُ لِشَيْدِ المجْدِ أرعَى سَوامَهُ[٥] ولم أدَّكِرْ نَجْدًا ولا أبرُقَ الحِمَى
٣٨- ويممْتُ محمودَ الطرائقِ يُوسُفًا[٦] فلِلهِ ملْكًا ما أعزَّ وأكرَما
٣٩- لقد فخَرَتْ غَسَّانُ منه بماجدٍ حَماها وأعلاها سِمَاكًا ومِرْزَما[٧]
٤٠- مُجيبًا إلى داعي التكرُّمِ والنَّدَى وإنْ هُوَ لمْ يُدْعَ ابْتِدَاءً تَكَرَّما[٨]
٤١- فَدَامَ قَريرَ العَينِ في خَفْضِ عيشةٍ ولا زالَ مَأْوًى للوفُودِ ومُنْتَمَى[٩]

(ق٨)[١٠]

قال: [الطويل]
١- ألاَ أبلِغَا أَبْنَا[١١] علِيِّ بنِ حاتمٍ مَقالاً لهُ شُمُّ الشَّنَاخِيبِ[١٢] تَرجُفُ
٢- صناديدَ همدانَ بنِ زيدٍ وصِيدَها ومَنْ مَجدُهُمْ بين البَريَّةِ يُعْرَفُ
٣- أولئكَ قومٌ إنْ قَرَوْا أحسنوا القِرَى وإنْ أنعموا أعْطَواجَزِيلاً وأنصفُوا
٤- وإنْ يشهدُوا صدرَ النَّدِيِّ فما لهمْ شريكٌ به مِن سائرِ الناسِ يُعْرَفُ
٥- أولئكَ إخواني وقومي ومعشري ومَن بهمُ أسمُو فَخارًا وأَشْرُفُ
٦- فمَن سامَني شَأْوَ الجُدودِ فبيننا إلى الشرفِ السّامِي مِن المجدمَرْنفُ[١٣]
٧- وقولَا لهمْ إنِّي وإنْ كنتُ مُقْعَدًا فقلبيَ مِمَّا نالَهمْ يُتَخَطَّفُ

(١)"السمط الغالي الثمن"٣١٠:"ولَمَّا أذق".
(٢) طَعِمَ، كَعَلِمَ، طُعْمًا، بالضم: ذاقَ، وطَعْمُ الشيءِ: حَلاوَتُه ومَرَارَتُه.
(٣) "مغنما" في "السمط الغالي الثمن"٣١٠:"مشتما". وتَنَكَّبَ فلانٌ عن كذا: مال عنه.
(٤) رواية العقود: ١٠٨/١:"تنكست"؛ وتَنَكَّبَ عن كذا: مال عنه. و"لم أعج" من عاج: انعطف.
(٥) والسَّوامُ والسَّائِمَةُ: الإبِلُ الرَّاعِيَةُ.
(٦) المقصود به: السلطان المظفر الرسولي.
(٧) المِرْزَمِ من الغيث والسحاب: الذي لا ينقطع رعدُه.
(٨)"ابتداءً تكرَّما"رواية العسجد ٢٢٦، ورواية "السمط الغالي الثمن" والعقود "ابتدا [كذا] وتكرما".
(٩) في "السمط الغالي الثمن" والعسجد:"ومنتما".
(١٠) القصيدة في نزهة الأفكار، إدريس الأنف، لوحة ٧٠، لقطة ٠٣٣٦. قال إدريس الأنف: «وفي ذلك [يقول عزان] بن سعيد بن بشر بن حاتم،من حصن ذَهْبان، وأرسلها إلى إخوته بني حاتم، يعنِّفُهم ويؤنبهم فيها، وقد كَبُر سِنُّه وصارَ مُقْعدًا»، وكان فيهم ابن عمهم محمد بن حاتم، وهو ذو رئاسة فيهم فلم يطيعوه، وينظر: المصدر نفسه لوحة ٧٢، وجه (ب) لقطة ٠٣٣٤.
(١١) حذف همزة "أبناء" الأخيرة، قصرا للممدود، للضرورة الشعرية.
(١٢) شُمُّ الشناخيب: عالية الجبال.
(١٣) رسم حروف الكلمة في المخطوط غامضة فيها شيء من التعمية، والرَّنْفُ: من أشجار الجبال، (لسان العرب (رنف) و(بهرمج)، وأراد الشاعر العلوَّ في النسب.

٨- أيُصْبِحُ أرْذالُ الرِّعَاعِ بأسْرِهَا تَحَكَّمُ في أعراضِكمْ وتُنَصّفُ
٩- وتُمْسِي علَى البَطْحا تُرِيقُ دِمَاءَكمْ وتَهْتِكُ أعراضًا تَعُزُّ وَتَشْرُفُ
١٠- ألمْ تعلموا أنَّ الحوامِلَ عُطِّلَتْ وريعَتْ نِساءٌ في المحاريبِ تَعْكُفُ؟
١١- أبَى اللهُ أنْ ترضَى بذلكِ عُصْبَةٌ حِجَازِيَّةٌ[١] تأبَى الدنايا وتَأْنَفُ
١٢- أمَا راجعٌ منكمْ إلى فضلِ حِلْمِهِ أمَا عاطِفٌ منكمْ أمَا مُتَعَطِّفُ
١٣- فلا تُرْخِصُوا ما كانَ بالأمسِ غالِيًا ولا تُسْعِدُوا مَن ظلَّ بالشرِّ يَرْجِفُ
١٤- أحَذِّرُكمْ مِنْ عَثْرَةِ الرأْيِ. إنَّها لَمِنَ عَثرةِ الأقدَامِ أشقَى وأَتْلَفُ
١٥- ولا تَهْدِموا مَا شادَهُ مُلْكُ حاتمٍ فبُنيانُهُ سَامٍ على المجدِ مُشْرِفُ
١٦- فلا تخذلوا في الرأي أبناءَ عَمِّكمْ فما منهمُ إلّا وَدُودٌ ومُنْصِفُ
١٧- يدافعُ عن أحسابِكمْ ويَصُونُكمْ ويَدْرَأُ بعدَ اللهِ عنكمْ ويَكْشِفُ
١٨- بأنْ تسمعوا أوْ تقبلوا نُصْحَ ناصحٍ[٢] يَحِنُّ عليكمْ ما حييتمْ ويَرْأَفُ
١٩- وإلّا ففي سَعْيِ الحسين[٣] وَرَأْيِهِ لكمْ بَرَكاتٌ عَدُّها لا يُكَيَّفُ
٢٠- فقدْ زارَكمْ في نفعِكمْ مُتَشَفِّعًا وكلُّ شَفيعٍ بالشفاعَةِ يُنْصَفُ
٢١- ولا تعْتِبُوا إنْ كانَ في الرأي غِلْظَةٌ فلِي كبدٌ حَرَّا علَى العِزِّ تأْسَفُ
٢٢- وإلّا فَفي حَذَّانَ[٤] مُتَّسَعٌ لكمْ وأرضُ التقاصِي فهي بيضاءُ صَفْصَفُ
٢٣- أراضي سِلامكالرياض تنفست وصارَ عليها صَيِّبُ المُزْنِ يَذْرِفُ

٦) شعر سالم بن عزان بن سعيد بن بشر:

(ق٩)[٥]

قال متمما قصيدة أبيه عزان بن بشر، ومتابعا طرح أحداث اختلاف قومهم في حصنهم المنيع ذمرمر:

[الطويل]

١- وذلكَ أنَّ الدّهرَ أحدثَ بينهمْ[٦] حوادثَ عُقْباهَا تُبِيدُ وتُثْلِفُ
٢- وأصبحتِ الغَوْغَا الرِّعَاعُ مِن الوَرَى تَحَكَّمُ في آرائهمْ وتَصَرَّفُ
٣- وكانتْ خَلُوبٌ[٧] بعد ذلكَ غِبَّةٌ وصَدْعٌ لَعَمْرُ اللهِ لا يَتَألفُ

(١) أراد بهم جدود آل حاتم بن أحمد الهمداني اليامي.
(٢) كأنّ الشاعر يريد بالناصح نفسه.
(٣) الحسين بن علي بن محمد بن الوليد الأنف (ت٦٦٧هـ)،وقد زارهم في حصن ذمرمر وكان ذا جاه عندالحاتمي محمد بن حاتم وهمدان وأهل دعوته.
(٤) حذَّان اليوم تتبع مديرية ثُلا، في محافظة عمران، ينظر: "معجم البلدان والقبائل اليمنية"، إبراهيم المقحفي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ودار الكلمة صنعاء، ٢٠٠٢م،١/٢٦٠.
(٥) القصيدة في مخطوط نزهة الأفكار، لإدريس الأنف،لوحة ٧١ وجه (ب) لقطة ٠٣٣٥. ولوحة ٧٢، وجه (أ) صورة ٠٣٣٤.
(٦) أي: بين بني السلطان علي بن حاتم أصحاب حصن ذمرمر.
(٧) خلوب: حرب.

٤- لَعَمْرِي لقد شدُّوا هنالِكَ شَدَّةً[١] تكادُ لها شُمُّ الشناخيبِ ترْجُفُ
٥- فَلوْ صَدَموا[٢] رَضَوَى به لتدَكْدَكَتْ ذُراهُ وفرسانَ الوَغَى لَتَزَحَّفُوا
٦- وَذاكَ لأمْرٍ قدَّرَ اللهُ كَوْنَهُ وليسَ لِمَا قدْ قّدَرَ اللهُ مَصْرَفُ
٧- إذا ما قضَى اللهُ الزَّوَالَ فليسَ عَنْ قضَاهُ قضاءٌ في الوَرَى يتخَطَّفُ
٨- وعَزَّ علينا أنْ يُفرِّقَ شَمْلَهمْ حَسودٌ وكذَّابٌ شقِيٌّ مُزَخْرِفُ
٩- سَعَى بينهمْ بالكذْبِ والزُّورِ معشَرٌ لهمْ قَدَمٌ في الشرِّ والبُغْضِ تُعْرَفُ
١٠- جَهارًا بما قدْ كانَ منهمْ وخِفْيَةً ومَنُّوا أمَانِيَّ الضلالِ وقدْ وَفُوا
١١- إلَى أنْ جرتْ أُوْلَى وأُخرَى كلاهُما ضَلالٌ ولم يَحْنُوا لذاكَ ويَرْأَفُوا
١٢- ومَا هِيَ إلّا سَخْطَةُ اللهِ، ما رَمَى بها اللهُ إلّا مَن يُسِيءُ ويُسْرِفُ
١٣- فأعْقَبَ ذاكَ المجدَ والعِزَّ ذِلَّةٌ أُزِيلَ بها الطَّوْدُ[٣] الأَشَمُّ المُنَيَّفُ
١٤- فبَدَّدَ شمْلًا ما أَرَاهُ ولَا يُرَى علَى حالَةٍ من بعدِهَا يَتَألَّفُ
١٥- فأعْقَبَنِي حُزْنًا طويلًا ولوْعَةً بقلبيَ منهُ حُرْقَةٌ وتَأَسُّفُ
١٦- نَحِنُّ وما يُجْدِي الحَنينُ ولوْ بَدَتْ مَدَامِعُنَا مثلَ السحائِبِ تَذْرِفُ
١٧- ولو قَبِلوا رَأْيَ الحُسينِ[٤] وَرُشْدَهُ هنالِكَ لم يُرْجَفْ بما كان يُرْجَفُ
١٨- إذنْ لهداهمْ للصلاحِ وللهُدَى وأعْلَنَ فيهمْ بالتي هِيَ أَعْرفُ
١٩- وما زالَ مِنْ إخوانِهم زاجِرٌ لهمْ وهمْ مِن أولِي الشحْنَاءِ أحْنَى وَأَرْأَفُ
٢٠- ولكنَّهمْ أُلْفُوا كما لمْ طَدَيْتَهمْ[٥] وكانَ مِنَ التأْنِيبِ ما ليسَ يُوصَفُ
٢١- يقولونَ: لا يُقْبَلْ فلانٌ ورَأْيُهُ وما زالَ يُجْنِيهمْ وِدَادًا وَيُنْصِفُ
٢٢- فَصَبرًا فأمرُ اللهِ لا بُدَّ نَافِذٌ عساه [بجاهات][٦] المَراحِمِ يَعْطِفُ
٢٣- فللهِ رَبِّ الخلقِ مِن عَطَفَاتِهِ عَوَاطِفُ لا تُحْصَى ولا تَتَكَيَّفُ

٧- الدراسة:

أ) عزو قصيدة (حلبتُ زماني يا ابنة العَمِّ) إلى عزان بن عمرو شاعر همدان:

القصيدة في "السمط الغالي الثمن"، ومن خبرها قول المؤلف: «انتهزَ الأشرافُ الحمزيون الفرصة، ونهضوا بأجمعهم إلى صنعاء فِي جملة الإمام [أحمد بن الحسين]، وأقبلَ العربُ من كلِّ جهة، فمالَ الأمير أسد الدين [والي الدولة الرسولية بصنعاء] إلى حصن بَراشهو ومماليكه، وهرب أجزلُ العرب إلى الإمام، وجاءَ الإمامُ فدخلَ صنعاء، ووقعَ الإمامُ في الناس، وكان معه من بني حاتم جماعةٌ فقَتلَ منهم؛ مِن جُشَم

(١) شدوا: احتربوا واقتتلوا.
(٢) في المخطوط (صمدوا) وهو تصحيف.
(٣) الطود الجبل، وهنا: حصنهم العالي.
(٤)هو الحسين الأنف السابق الذكر.
٥ – طَدَيَ: عادتٌطادية: أي ثابتة وقديمة، ويقال إنّ طادية مقلوب من وَاطِدَة، (لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١م)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م: وطد)، طديتهم: عهدتهم.
(٦) أصاب حِبْرُ الكلمةِ انتشارٌ، وضاعت معالم الحروف، فقدرناها كما أثبتناها.

رجُلَين أو ثلاثة، على تهمة قتلٍ من غير حقيقة، فأنِفَتْ همْدانُ من ذلك، ومالتْ إلى حصن ذي مرمر وإلى العروس، ولم يبق معه منهم أحد، وقال شاعرهم... [القصيدة]»[١].

وأورد إدريس الأنف في كتابه (المخطوط) "نزهة الأفكار" منها الأبيات: ٥-١١، ثم أتبعها بخبرِ إتْلافِ الرُّقَيْمِي عاملِ الإمامِ زرعَ الشاعر الحاتمي عزان بن عمرو بن بشر، ثم نسب إليه القصيدةَ التي أولها:

لضَرْبُ طُلَّبالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ وطَعنُ الكُلَى بالذابِلاتِ اللَّهاذِمِ)

وانفرد بإيرادها[٢].

ووقف الأستاذ أحمد الشامي على قصيدة شاعر همدان (حلبت زماني...) وقال: «لا أشكُّ ولا أرتابُ أنّ[ـها لـ] أحد سلاطين بني حاتم؛ فهو إمّا أنْ يكون الأمير الشاعر الفارس مُدرك بن بشر بن حاتم... أو هو السلطان علوان بن بشر بن حاتم... أو لغيرهما من أولاد وأحفاد حاتم بن أحمد، فقد كانوا جلُّهم فرسانًا يجيدون الشعر والقريض...»[٣]

وقد نظرنا في القصيدتين نظرة الفحص والدراسة على النحو الآتي:

١- وقتُ إنشاءِ قصيدة (لضرب طلَّى...) قريبٌ جدا من وقتِ إنشاء قصيدة (حلبت زماني...)، إذ إنّ الأولى في موسم نشاط الحقول الزراعية في صنعاء ويكون غالبا في موسم الأمطار الصيفية، وصيف سنة ٦٤٨هـ -التي حلَّ فيها الإمام في صنعاء- كان بين الشهر الخامس (ذو مَبْكَر)، والثامن (ذو الخراف)[٤]، أي ما بين (أيار/مايو وآب/أغسطس) سنة ١٢٥٠م، ويبدو أنَّ حادث قتل الرجلين أو الثلاثة من همدان كان بعد ذلك بقليل، فوقت قيل القصيدة الأولى في الشهر السابع تقريبا بُعيد خراب الزرع، ووقتُ قيل الثانية قريبٌ من الشهر التاسع فرضا، من ذلك العام، إذ إنّ ذلك الإمام لم يبق في صنعاء سوى عام واحد خلال ٦٤٨-٦٤٩هـ، ولم يرجعْ إليها بعد أنْ خرج منها، نظرا لانضمام أل حاتم وهمدان إلى الملك المظفر الرسولي، ووصول التعزيزات من هذا الأخير إلى ولاية صنعاء[٥].

٢- إنّ سلوكَ إدريس الأنف مؤلف "نزهة الأفكار" الذي أورد سبعةَ أبياتٍ من قصيدة (حلبت زماني)، ثم أتبعها بقصيدة (لضرب طلى)، التي نسبها إلى عزان بن عمرو بن بشر، يشير إلى أنّه كان يرَى أنّ عزان هو صاحب القصيدة الأخرى، لكنه لم يصرح بذلك لأنّ المصادر التي بين يديه على ما يبدو لم تسمِّ الشاعرَ صراحةً.

٣- جزْمُ الأستاذ أحمد الشامي أنّ قصيدة (حلبت زماني) لأحدِ أولاد بشر بن حاتم أو لأحد أحفادحاتم، يقرِّبُ ما ذهبنا إليه مع ما رأينا من قرب زمنِ قولِ القصيدتين.

٤- موضوعُ قصيدة (لضرب طلى) التنديدُ بعاملِ الإمام الملقب بالرقيمي، وموضوع الثانية (حلبت زماني) التنديد بالإمامِ نفسه، لمّا لم ينصفْ همدان ويقدر حقها في السبق والتأثير، بأنْ قَتَل اثنين أو ثلاثة منهم بتهمة غير محققة كما في الخبر.

---

(١)"السمط الغالي الثمن": ص٢٣٦-٢٣٩.

(٢) ينظر: نزهة الأفكار لوحة ٥٦، وجه (أ)، لقطة ٠٣٥٠.

(٣)ينظر: "تاريخ اليمن الفكري" ٣/ ١٩٣.

(٤) ينظر في مواسم الزراعة: "قصيدة البحر النعامي في الأشهر الحميرية وما يوافقها"، تح: محمد الأكوع، مجلة الإكليل، الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، عدد ٣و٤، سنة:١٩٨١م، ص٩ وما بعدها.

(٥) ينظر "السمط الغالي الثمن": ٢٣٤-٢٣٦ و٢٧٦. ونزهة الأفكار: لوحة:٥٥-٥٩، صورة ٣٥١-٣٤٧.

٥- لاحظنا من النظر في القصيدتين أنهما من نَمَطٍ واحدٍ وأسلوب لا يكاد يختلف، ومن ذلك ما يلاحظه القارئ من التشابه في استخدام الألفاظ والتعبيرات، من ذلك ما نجده بين مطلع القصيدة الأولى والبيت ١٧ منها، قال:

١- لضَرْبُ طُلًبالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ وطَعنُ الكُلَى بالذابِلاتِ الْلَهاذِمِ
١٧- عرفتُ لِقَوْمِي عِزَّةً وحَمِيَّةً تُفَرِّقُ ما بينَ الطُّلَى والجَمَاجِمِ

والبيت (ب٢١) من القصيدة الثانية، قوله:

٢١-ومِنَّا لهُ الإسْعادُ بالطعنِ فِي الكُلَىوضربِ الطُّلَى حتَّى ترَى النَّقعَ أكْدَرَا

كما يلاحظ ضميرَ المتكلم في القصيدتين، ففي الأولى:

١٥- وما كنتُ عن قتلِ الرقيميِّ عاجِزًا ولو أنَّه ليثُ الكِفَاحِ ابنِ ظالمِ
١٦- ولكنَّ راقبْتُ الإمَامَ ومَعْشَرِي بنِي حاتمٍ أهلِ الندَى والمَكَارِمِ

وفي القصيدة الثانية:

ورُمْتُ فلمْ أُقْدِمْ على ما أرُومُهُمخافَةَ أُرْضِي الشامِتِينَ وأضْجَرَا

وتكرر ضمير المتكلم؛ بين ياء المتكلم المضاف إليه، وتاء المتكلم الفاعل، ونا المتكلمين، والفاعل المستتر من ضمير المتكلم، ٤٨ مرة في القصيدتين، بمعدل ٢٤ مرة في كلِّ قصيدة، وهذه النقاط من أبرز الدلائل على أنّ أسلوب القصيدتين واحد ولشاعر بعينه.

ولِمَ الخروج على الإمامِ إلاّ لأنه:

٨- أباحَ دماءَ المسلمينَ ومالَها وكانَ رجَاهَاأنْ يَقُومَ ويُنْصَرَا

وهذه التهمة تشمل كما قال الشاعر (دماء المسلمين ومالها)، فدماء المسلمين إشارة إلى قتل الهمدانيين، ومالها إشارة إلى إتلاف الزرع، من قِبَل عامل الإمام وأتباعه، وأهل صنعاء يصفون الأرض الزراعية بالمال حتى اليوم.

٦- الشاعر مفعم بالإشادة بقومه والتغنِّي بقوتهم ومجدهم ونجدتهم، ففي القصيد الأولى يقول:

١-لضَرْبُ طُلَى بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ وطَعنُ الكُلَى بالذابِلاتِ الْلَهاذِمِ
٥-فَمَنْ مُبلِغٌ همدانَ عَنَّا أَلُوكَةً ولاسيَّما الساداتِ مِن آلِ حَاتِمِ
٦-ويعلِنُ في يَامِ ابْنِ أصْبَا نِدَاءَهُ فيَامٌ حُماةٌ مِنْ حُمَاةٍ أكَارِمِ
٧-ويَهتِفُ في حَيِّيْ بَكِيلٍ وحاشِدٍ لِكُلِّ هِزَبْرٍ فِي الهِياجِ ضَيَاغِمِ
١٢-وطاوَعْتُ فيما كانَ في آلِ حَاتِمٍ فما زالَ في الأحْكامِ أعْدَلَ حاكِمِ
١٨-وفي مَذْكَرٍ مَن ليسَ يذهبُ وِتْرُهُ ولو أنَّهُ بينَ السُّهَا والنَّعَائِمِ
١٩-وما دَامَ في همدانَ مَن يُرْعِفُ القَنَا بَلَغْتُ المُنَى بالمرهفاتِ الصّوارِمِ

وفي القصيدة الثانية:

١-حلبتُ زمانِي يا ابنَةَ العمِّ أشْطرَا وقلَّبْتُ آرائِي بُطُونًا وأظْهُرَا
٣-ولا ساعَدَتْنِي هِمَّةٌ مَذْكَرِيَّةٌعلى أنْ أُرَى عن مذهبِي مُتَنَكِّرَا

٢٧-أيضحَى سليلُالمَذْبَحِيِّ مُقدَّمًا وتاجُ بني يامِ بنِ أَصْبَا مُؤخَّرَا
٢٨-إذنْ سُقِيَتْ همْدانُ كأسًا مَريرَةً ولا حُرِمَتْ كأسًا من الموتِ أحْمَرَا
٣١-فقلْ لِذُرَى قحطانَ للهِ دَرُّهَا وخُصَّ بِها همْدان قومِي ومَذْكَرَا

فالشاعر الحاتمي يكثر في القصيدتين من ذكر قومه، وهمدان، ويام بن أصبا جد همدان، وجدهم مَذْكَر أيضا.

٧- نرجح أن سببَ إخفاء اسم صاحب القصيدة الثانية (حلبت زماني) ما هو إلا للتمويه علَى مَنْ يُمْكِنُ أنْ يتَّهِمَه بالخطأ الفادح، لأنه في القصيدة قدَّم العذرَ لجَبَلَةَ بن الأيهم لما ارتد عن الإسلام وتنصر، لمّا أنِفَ أنْ يُسَوَّى بينه وبين رجل من سائر العرب، قال:

٢٩- ألاَ فاشْهدوا أنِّي عذَرْتُ ابنَ أيْهَمٍ رئيسَ بني غسَّانَ لَمَّا تَنَصَّرَا

فهذا البيت يثير غضب كثير من خصومه، ويدعوهم لاتهامه بما يتحقق به عقابه الشديد ولاسيما عند الإمام لو تمكن منه.

ولنا بعد ما أوردنا من الأدلة أنّ نرجِّحَ أنّ القصيدة (حلبتُ زماني) ما هي إلا أختُ قصيدة (لضرب طلًى). وأنهما لشاعر واحد، ولما كانت نسبة قصيدة (لضرب طلى) مؤكدة النسبة إلى قائلها عزان بن عمرو بن بشر فإنّ الأخرى له أيضا.

ب) مادة الدراسة:

أخبار شعراء هذه المجموعة نادرةٌ، لولا ما تلمَّسناهُ من دلالات الزمن إذا ذُكِرَ الشاعرُ، ومناسبة القصيدة إنْ وردتْ، ومع هذا فإننا نزعم أنّ البحث يكاد يقدِّمُ مجموعةً من شعراءِ اليمن، الذين كانوا في طيِّ النسيان.

وجلّ مادة متن هذا البحث مستقاة من مصادر يقلّ تناولُ الباحثين لها أو يندر، ولاسيما ما هو منها مخطوط، ككتاب "نزهة الأفكار وروضة الأخبار" لإدريس حميد الدين الأنف"، الذي تمكنا من العثور على نسخة منه مصورة[1] لا تسهل قراءة كثير من عباراتها، بسبب تأثر خطها بالرطوبة، التي عبثت بأكثر الكلمات حتى كادتْ أنْ تنطمس أو انطمس بعضها، فضلا عن رداءة التصوير إذ كانت عدسة المصور لا تتمكن من الوصول إلى أطراف السطور بسبب التجليد الضيق، كما نظن، ولولا الصبر على القراءة في المخطوطات والتتبع والتنقيب عما جاءت عليه الكلمات من اللطخات التي طمست الكلمات من ناحية، واضمحلال بعض الحروف التي لم يبق سوى أطراف من معالم بعضها، ولولا التمكّن من الأوزان الشعرية والخبرة اللغوية، لما خرجنا بهذا البحث. وقد وصل ما حصلنا عليه من شعر أولاد بشر بن حاتم بن أحمد الهمداني وأحفاده من المصادر المتاحة إلى ٢٠٢ بيتا، في تسع قصائد لستة شعراء.

(١)اسم الكتاب: نزهة الأفكار وروضة الأخبار، لمؤلفه عماد الدين إدريس الأنف، نسخة عن ميكروفيلم رقم (٧٤٩٣) تم تصويره عن مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء لصالح الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة ١٩٨٣م، منه نسخة في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

١) موضوعات هذه المجموعة الشعرية:

مَن يتصفّح أشعار هذه المجموعة يجدُ أنّها تنضوي تحتَ باب الحماسة، وتجري في ميدان الفروسية، وتسردُ الحوادثَ وتدوّن الأخبار، وتحكي عن النفس وما يختلج في الصدر؛ من فخر ورِضًى، وفرح وتهكم، واستعطاف وغضب، ونصح وحكمة، وعلى النحو الآتي:

١- القصيدة (ق١): تصفُ ضيقَ الفارس الشاعر عمرو بن بشر وأخيه من أسْر الملك الأيوبي العزيز طغتكين لهما، عندما استولى على حصنيهما الفِصِّ الصغير والفصّ الكبير بالقرب من مدينة صنعاء، سنة٥٨٥هـ.

٢- القصائد (ق٢وق٣وق٤): تشير إلى ما نتج عن معركة عصر بين الحامية الأيوبية بصنعاء ومعهم آل حاتم من ناحية، والأشراف الحمزات وأتباعهم، الذين قادهم الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة من ناحية أخرى؛ ففي (ق٢) تهكُّم من فرار الأشراف من أرض المعركة مهزومين. وتقبلُ القصيدة (ق٣) أنْ تؤوّلَ بأنّها تهنئة بالنجاة، أو تعْزية بالهزيمة، أو سخرية بسبب الانكسار وعدم القدرة على نيل النصر،وفيها شيء من معاني التسلية، وفيها إشادة بانسحاب ذلك الشريف من أرض المعركة بعد أنْ أصابه سهم في عينه، ذلك لأنّ الانسحاب والفرار يعدُّ من النصر أحيانا.وفيها تعبيرٌ عما حصَّله فريق من جيش الأيوبيين من النصر الذي ما كان له أنْيتحقق لولا بسالة قائديه بدر الدين ونور الدين أبي علي رسولورجالهما. ودعوة لابن الإمام هذا أن يتحول إلى صف الدولة الأيوبية، ولابد أن صدى هذه المعركة قد جعل الحمزيين يفكرون جديًّا بالانضمام تحت لواء الدولة الرسولية فيما بعد، وفي (ق٤) بشارة للملك المسعود الأيوبي بالنصر وإبراز مقدرة الحامية الأيوبية وقائدها ومن معهم من آل حاتم.

٣- القصيدتان (ق٥) و(ق٦): فيهما استنجاد واستدعاء للقوم من آل حاتم لرفع الضيم عن أخيهم وابن عمهم الفارس الشاعر عزان بن عمرو بن بشر، ولِكَبْحِ جماح عامل الإمام الذي أتلف رزع عزان وأمواله، وفيها التنديد بالإمام أحمد بن الحسين نفسه، لما قتل بعض الهمدانيين.

٤- القصيدة (ق٧): تحتوي على مدح السلطة العادلة في نظر الحمزيين المنشقين عن الإمام أحمد بن الحسين، ومعهم آل حاتم، تلك السلطة الممثلة بالملك المظفر الرسولي، والثناء على مروءته وكرمه وجزالة عطائه ونجدته.

٥- القصيدتان (ق٨) و(ق٩) تزخران بالتأسف على آل حاتم، أهل حصن ذَمَرْمَر العتيد، عند ما وقعوا في فتنةٍ بينية، مزقتهم وأفشلتهم، وأذهبتْ ريحهم، وأدّت إلى خروجهم من ذلك الحصن الشامخ الباذخ، الذي ساعدهم على الثبات أمام كلّ زحفٍ أتاهم لاقتلاع سلطتهم، إذ صمد بهم أمام الدولتين الأيوبية والرسولية مدّة (٩٤) عاما، ولم تتمكن الأخيرة من أخذه وبسط نفوذها عليه كغيره من أكبر حصون اليمن كالدملؤة في تعز وحصن حَبّ في إبّ، وأشْيَح في ذمار، وبراش بصعدة، فضلا عن محاولات الأئمة التي كانت توجه العيون إليه، لكن ترجع من دون مآربها.

ولا نستطرد في الحديث عن موضوعات القصائد من خارجها، فقد غدتْ كل قصيدة منها تقدم نفسها للقارئ في أحسن حُللها، حتى لا نحتاجَ لتكرار الحديث عنها وعن مضمونها، نظرًا لما خدمناها به.

وإنما ندخل في النصوص، نستخرج من خباياها ما يبرز قيمتها الفنية والجمالية، التي حشدها قائل النص، ليُظهِرَ ما يريد إظهاره ويخفي ما يشاء إخفاءه ويشير إليه ويلمِّح به تلميحا، ليجعل الموضوع أكثرَ إثارة للمتلقي...

٢) أدبية أشعار البِشْريين:

١ - عبور الزمن:

إذا كان واقع اليمن الذي سببته الخلافات والمنافرات والصراعات والحروب قد أدّى إلى إنجاب فرسانِ حربٍ - فهذا أمر طبيعي- أما المخالف للمتوقع فهو أنْتجد الشعرَ في اليمن ولاسيما شعر الفرسانَ من أولاد بشر بن حاتم الهمداني يشير إلى أنهم كانوا على مستوى عالٍ من القدرة والتَّمَكن في هذا الفن، فيزمن[١]كانَ فيه كثير من الشعر العربي يهوي نحو المحاكاة السمجة لأشعار القدماء. فما الذي ميز شعر هذه العُصْبَةِ من الشعراء؟ وكيف تجسدت الأدبية في شعرهم؟

قال ياكبسون: "إنّ موضوع علم الأدب ليس الأدب وإنما هو الأدبية، أي ما به يكون نصٌّ ما أثرًا أدبيًّا"[٢]. وعادة ما يربط الدارس النصوص الأدبية بتاريخها الذي نشأت فيه، لا لأنها قد ثنتْ عنقها إليه وتعلقت به، ولكنْ للإشارة إلى زمنها الذي نمتْ فيه وخرجت عنه، وصار لها قوامُها الذي بقي يحمل سماتها الجمالية والمعنوية التي تبقى متجددة بين يدي القارئ المعاصر، مهما تجددت ثقافته، إذ لو كانت النصوص الأدبية بشكل عام تفقد مكانتها مع مرور الزمن لكانت (الإلياذة) و(الأذيسة) ومعلقات العرب في الجاهلية وكليلة ودمنة وبخلاء الجاحظ وأشعار أبي نواس وأبي تمام والمتنبي قد فقدت أهميتها، لكنْ مهما مرّ الوسط التاريخي، وزال فإنّ النصوص الأدبية العالية، تبقى طرِيَّةً تحمل خصائص الجمال والإدهاش وقابلة للقراءة والتأويل، قال إيخنباوم: "إنَّ وسطًا (تاريخيا) معينا يزول في حين أنّ الوظيفة الأدبية التي أوجدها ذلك الوسط تبقَى، وهي لا تبقَى أثرًا حيًّا من الماضي فحسب، وإنّما هي تبقَى أيضا طرِيَّةً محافظة على دلالتها كاملةً خارج صلتها بهذا الوسط الذي أوجدها"[٣].

٢ - أوزان القصائد:

الوزن والقافية: الوزن والقافية هما الإيقاع الخارجي، وجرس الكلمات مفردة ومركبة هو الإيقاع الداخلي، ولأهمية الإيقاع في الشعر كان إليوت يرى أنّه "يلد الصورة أحيانا"[٤]. وقد نظمَ آل بشر بن حاتم هذه العينة من أشعارهم على ثلاثة بحور مشهورة في الشعر العربي، على النحو الآتي:

١- جاءت القصيدة (ق٢)، (أساداتِ الوَرَى مِن كلِّ حَيٍّ...) على بحر الوافر وعدد أبياتها ٢١ بيتا، وتشكل ما تقرب نسبته من ١١%، من مجموع أبيات القصائد الشعرية في المجموعة كلها، وهذا البحر بحسب وصف سليمان البستاني: «ألين البحور يشتد إذا شددته ويرقّ إذا رققته، وأكثر ما يجود به النظم في الفخر».[٥]

(١) نهاية القرن السادس وفي القرن السابع للهجرة.

(٢) ينظر: "النقد النصّاني"، جيزال فلنسي، ضمن كتاب (مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي)، ترجمة الصادق بن الناعس قسومة، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٨م، ٣٨٦-٣٨٧.

(٣) السابق: ص ٣٨٨.

(٤)"الصورة والبناء الشعري"، محمد حسن عبد الله، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص١٠.

(٥) ينظر: إلياذة هوميروس، تعريب سليمان البستاني، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٤م، المقدمةً،(الشعر العربي وأوزانه)، ٩١.

٢- جاءت القصيدة (ق٣) (غضِّي رناكِ عن الهِزَبْرِ المُخْدِرِ...) على بحر الكامل، ١٣ بيتا، أي ٦%، وهذا البحر «أجودُ في نظم الخبر منه في الإنشاء وأقرب إلى الشدّة منه إلى الرقة»[١]...

٣- أما بقية القصائد وهي سبعٌ، فإنّ شعراءها اختاروا لنظمها بحر الطويل، وعدد أبياتها: ١٦٨ بيتا، أي ما نسبته: ٨٣%، من مجموع أبيات القصائد كلها، وبحر الطويل «بحرٌ خِضمٌّ يَسْتوعِبُ ما لا يستوعبُ غيرُهُ من المعاني، ويتسعُ للفخرِ، والحماسةِ، والتشابيه، والاستعارات، وسردِ الحوادث، وتدوينِ الأخبار، ووصفِ الأحوالِ، ولهذا رَبَا في شعرِ الْمُتَقَدِّمينَ على ما سِواهُ من البحورِ لأنَّ قصائدَهم كانتْ أقربَ إلى الشعرِ القَصَصِيِّ، من كلامِ المولَّدِينَ»[٢].

تشير هذه العينةُ المتبقية من شعرِ أولاد بشر بن حاتم وأحفاده إلى إنّها أقربُ إلى الشعر القصصي، لذلك استوعبها النظم على (بحر الطويل) أكثر من غيره، هذا البحر الذي تولَّع العرب ببنيته الأساسية: (فعولنْ مفاعيلنْ) المكررة في البيت أربع مرات، كإيقاع للحياة بشكل عام، أفعالٌ وردودُ أفعالٍ، كالصوتِ والصَّدَى، والإنسان والطبيعة من حوله؛ هو يفعل وهي تتجاوب وتردد (يَاجِبَالُأَوِّبِيمَعَهُوَالطَّيْرَ)[سبأ ٣٢]، ولذا استخدَموا النظمَ على هذا الوزنِ، في مختلف العصور بنسبة عالية، فبحسب دراسةٍ أجراها في المغرب الأستاذ محمد العلمي، وتناول فيها استخدام الشعراء العرب في العصرين: الجاهلي، والإسلامي والأموي، للبحور الشعرية، في دواوينهم ومجاميعهم الشعرية، فكشفت الدراسة فيما كشفت عن أنهم نظموا (٩٦٥٤) قصيدة وقطعة وبيت مفرد، على ١٤ بحرًا، من البحور ١٦، التقليدية المشهورة، وأن ما نظموه على بحر الطويل وحده في العصرين بلغ: (٤١٢٥) قصيدة وقطعة وبيتا، أي ما نسبته ٤٨% من مجموع قصائد شعرهم ومقطعاتهم وأبياتهم المفردة[٣]، أي أن ما نظموه على الطويل اقترب من نصف ما نظموه على البحور كلها، فالطويل عندهم يكاد يعدل بقية البحور. وذلك لما كانت أشعارهم تسجل كثيرا من مناحي حياتهم وأخبارهم وقصصهم.

٤- اللغة والثقافة (التناص):

لغة شعر هذه المجموعة الحاتمية صافيةٌ فصيحة عريقة المعجم، ليس فيها شيء عامي، إذ يبدو أن الشعراء في اليمن في تلك الحقبة كانوا على ثقافة عالية، لا تقارن لغتهم بلغة القوم المحكية التي أدركناها، وكانت منتشرة حتى الثلث الأخير من القرن الماضي، مما ينتمي إلى ما قبل النهضة الحديثة، النهضة التي نشرت المدارس، وقربت الجامعات. بل إنَّ شعراء اليمن في تلك الحقبة كانوا -على ما يبدو من شعرهم- أكثرَ تدارُسًا وحفظا ورواية للشعر العربي الذي بلغ قمةً شامخة، على لسان أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس الحمداني وابن هانئ الأندلسي وغيرهم، إذ لا تخلو قصيدة من قصائدهم من أثرٍ من آثار أشعار هؤلاء وغيرهم من شعراء العربية.

(١)نفسه: ٩١-٩٢.

(٢)نفسه، ٩٢.

(٣) ينظر: "عروض الشعر العربي"، محمد العلمي، المغرب، دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٨، ٢١-٢٢. وقد لاحظ أنهم لم ينظموا على المضارع والمقتضب.

ويتمثل هذا التلاقي الثقافي أو التلامس أو الأخذ أو التناصف«النصوص مصنوعة مما يسمى أحيانا "بالنص الثقافي أو الاجتماعي" وهو كل الخطابات المختلفة، وطرق التحدث والقول والبنى والأنظمة الموافَق عليها مؤسسيا، التي تُشكِّل ما نسميه الثقافة، وحسب هذا المعنى فإنّ النص ليس كيانا معزولا ومنفصلا ولكنه تجميع لنصوص ثقافية»[١] ومما يعزز هذا في شهرهم:

١- القصيدة (ق١)، قال الفارس الشاعر عمرو بن بشر، وهو في الأسر يخاطب أباه:

٨-وما شعروا أنَّ العَظائِمَ كُلَّها الْـ ـكِبارَ وإنْ هالَتْ لديكَ أصاغِرُ

فهذا البيت متأثر ببيت المتنبي:

وتعظمُ في عين الصغير صغارُها وتصغرُ في عين العظيمِ العظائمُ[٢]

وكان عمرو بن بشر قد قال في مطلع القصيدة (ب١):

١- أمولايَ ما أسري ببدْعٍ فلم يزلْ كذا الناسُ مأْسورٌ وآخرُ آسِرُ

وهذا يناظر قولَ الفارس العربي الأسير لدى الروم؛ أبي فراس الحمداني:

ألم يعلم الذُّلَّانُ أنَّ بِنِي الوَغَى كذاكَ سليبٌ بالرماحِ وسالبُ[٣].

والتشابه واضح بين قول هذا الحاتمي في:

٤-فلا غَروَ كَمْ مَنْعٍ قهرْنا وسيدٍأسرْنا وأعطـْنا المَقادَ العشائرُ

وقول أبي فراس:

منعتُ حِمَى قَوْمِي وسُدْتُ عَشيرتي وقَلَّدْتُ أهلِي غُرَّ هذي القلائدِ[٤]

وقال علوان بن بشر (ق٢):

١٩-وقالتْ عندَ ذلك قولَ فَذٍّ أديبٍ شاعرٍ حَسَنِ النِّظامِ:

٢٠-(فأعْطِ القوسَ باريَها) ودَعْها فقد أوْدَعْتَها في كَفِّ رامِي

فالبيت الأخير يتناصّ مع المثل العربي الذي تناقلته كتبُ الأمثال واللغة، قالوا: (أعطِ القوسَ باريَها) ورووا:

يا باريَ القوسِ بريًا لستَ تحسنُها لا تفسِدنْها وأعطِ القوسَ باريهَا

أي اسْتَعِنْ على عَمَلِكَ بأهلِ المعرفة والحِذْقِفيه[٥].

وفي قصيدته (ق٣)، التي مطلعها:

١-غُضِّي رَناكِ عنِ الْهِزَبْرِ المُخْدِروقِفِي قليلًا لا أبَا لَكِ، وانْظُري

يوجه الشاعر الحاتمي خطابهَ بقصيدته إلى عزالدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، الذي قاد الأشراف ودخل معركة عصُر سنة ٦٢٣ هـ، ولم يتمكن من النصر، ففرّ منها مهزوما مكسور الوجدان، وقد سبقت

(١)"نظرية التناص"، جرهام ألان، ترجمة: د. باسل المسالمة، دمشق، دار التكوين، ط١، ٢٠١١م،ص٥٦.

(٢)"شرح شعر المتنبي"، لابن الأفليلي، تح: د. مصطفى عليان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م، ٢٤٥/٢.

(٣)ديوان أبي فراس الحمداني (٣٥٧هـ)، رواية ابن خالويه، تحقيق سامي الدهان، بيروت، ١٩٤٤م ، ٣١/٢.

(٤)نفسه: ٨٥/٢.

(٥)ينظر: "مجمع الأمثال"، للميداني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م المثل: (٢٤٤٥)، ١٩/٢.

الإشارة لذلك. إذ يشيد الشاعر باتخاذ عز الدين الحمزي لقرار الفرار وأنه كان حكيما، إذ نجا بنفسه وأهله الأشراف من الهلاك ودواهي الموت(أمّ حَبَوْكَر) فيقول:

٦- يا عِزَّ دين اللهِ كمْ من مُهْجَةٍحمدتكَ حين سَلَلْتَ صافي الجَوْهرِ
٧- غادرتَ في ضَرَمِ الوَطِيسِ بحسّها والموتُ يمشي مِشيةَ المُتَبختِرِ
٨- حتى تحامتْك العِدَا وبتكْتَ أَسْبَابَ الرّدَى وقطَعتَ أُمَّحَبَوْكَرِ

ففي قوله: (ضَرَم الوطيس) إشارة لاشتداد المعركة، وفي الأثر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في معركة حنين: «هذا حين حَمِيَ الوَطِيس» وأراد به اشتداد المعركة في[١]. و(أمّ حَبَوْكَر) عند العرب هي الداهية، وقد وردتْ في شعرهم ومن ذلك قولُ ابنِ أحْمَر:

فلمَّا غسَى ليلي وأيقنتُ أنها هي الأربى جاءت بأمِّ حبوكرا[٢]

ويبدو أنّ التنجيم كان شائعا في اليمن كغيره من أبواب الثقافة ومعارف ذلك العصر، ولذلك ذهب الشاعر عزان بن عمرو إلى عالم النجوم والكواكب أيضا فقال في (ق٥):

١٧-عرفتُ لِقَوْمِي عِزَّةً وحَمِيَّةً تُفَرِّقُ ما بينَ الطُّلَى والجَمَاجِمِ
١٨-وفي مَذْكَرٍ مَن ليسَ يذهبُ وِتْرُهُ ولو أنَّهُ بينَ السُّهَا والنَّعَائِمِ

السُّهَا نجمٌ صغيرٌ خفيُّ الضوء، لا يراه إلا حادُّ البصر، وقد ضربوا به المثل في الخفاء، وهو موجود باتجاه القطب الشمالي، بين بنات نعش الصغرى[٣]. والنعائم ثمانية نجوم، وهي منزلة من منازل القمر الـ(٢٨) في السنة الشمسية[٤].

ولإبراز مثل هذه المعرفة بالنجوم والكواكب، قال الفارس الشاعر مدرك بن بشر في القصيدة (ق٣):

٤- فالبحرُ يجْزرُ بعدَ مدِّ عُبابهِ الـ ـطامي ولا عَجبٌ لِجَزرِ الأبحُرِ
٥- يا سطوةَ المِريخِ لولا سطوةُ الْـ ـمَقدورِ ما أيقظتِ طَرْفَ المُشْتَري

فالشاعر منهم عندما يستخدم ألفاظًا وتعبيرات مثل: (السُّها والنعائم، ومدّ البحر وجزره، وسطوة المريخ، ويقظة المشتري) إنما يحقق ضربًا من التعالي المعرفي إذ يشعر المتلقي بأنّ كل هذا خصائص مهمة،

(١)ينظر: "صحيح مسلم"، بعناية أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦، باب غزوة حنين، الحديث (١٧٧٥)، ص٨٥٢.

(٢)"شعر عمرو بن أحمر الباهلي"، تح: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د ت، ص٨٣. وابن أحمر مولود في الجاهلية، وأسلم وغزا في جيش خالد بن الوليد، وأصيب في عينه، ومدحَ الولاة، وشكَى جُباةَ الصدقات، وهجا يزيد بن معاوية. ينظر شعره مقدمة المحقق ٩-١٨.

(٣) بنات نعش سبعة نجوم شبهت بحمَلة النعش، ويقال لها الدب الأصغر، ينظر: "كتاب الأنواء في مواسم العرب"، ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، الناشر: (Bureau) المطبعة العثمانية حيدر أباد الهند، ١٩٥٦م ص١٤٨.

(٤) السنَة الشمسية عند العرب ٣٦٥ يوما يقسمونها على ٢٨ منزلة، كل منزلةٍ ١٣ يومًا، عدا منزلة جبهة الأسد فإنها ١٤ يوما، وكانوا يحسبون بها مواسم الزراعة، والصيد، وركوب البحر. ومنزلةُ النعائم ١٣ يوما، وهي من المنازل اليمانية، تبدأ عند ابن قتيبة (وهو في العراق) في ٢٢ ليلة تخلو من كانون الأول (ديسمبر) إلى ٤ كانون الثاني (يناير)، وهي عنده رقم ٢٠ بين المنازل، وفيها يشتد البرد. ينظر: "كتاب الأنواء في مواسم العرب"، ابن قتيبة، ص٧٤.

وأنّها ذات أخيلة شعرية يعرفها الشاعر، وما على المتلقي إلا أنْ يتنبّه لها وينظر فيها ويقلبها ويفسرها، كما في ذكر الشاعر حال البحر وما يكون له من المدِّ الذي يكادُ معه أنْ يطمِسَ ما يكون أمامه من نبات أو بنيان أو كائنات حيوانية، ثم يأتي عليه الجَزرْ فيرجعَ القهقرى، ويتضاءل كالمهزوم الضعيف، وكذا احمرارُ كوكب المريخ وبروزه في ليل السماء متوهجا، وكان المنجمون يرون في توهجه إنذارًا وتوعّدا بالحرب والبطش والقسوة، ثم يحول إلى التراجع والخفوت والغياب في الفلك، حيث يظهر المشتري مشرقا، ويقدّم الشاعر وهو يتفاعل مع طبيعة البحر، وطبيعة الكواكب صورةً لحال الذينَ وجَّهَ لهم الخطاب بالقصيدة، فبعد أنْ أقبلوا يُرجِفون بافتتاح صنعاء ويسيلون لعاب أتباعهم بالغنائم والسبايا الحسان عادوا بالهزيمة والجراح، ليقول لهم لم يكن ذلك خارجا عن المألوف الكوني، فكيف بالإنساني.

ويتجه الشاعر إلى تضمين بيتٍ من شعر ابن هانئ الأندلسي، متوهِّما أنه لحسان بن ثابت، قال.

٩- فلأنتمُ أوْلَى ببَيتٍ قالهُ حسّانُ يُرْوَى في قديمِ الأعْصُرِ:

١٠- فُتِقَتْ لكمْ ريحُ الجِلادِ بعَنْبَرٍ وأمَدَّكمْ فَلَقُ الصباحِالمُسْفِرِ[١]

فحسان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، حاضر في ذهن الشاعر الحاتمي ولشعر حسان مكانة عظيمة ولاسيما ما مدح به الرسول وما أنشده في الصحابة وبينهم، لكنّ ذاكرته تذهبُ به إلى ظلالِ محفوظاتِه، حيث غدتْ تختلطُ بعض الأشعارِ بمنطقة الوَهْم الذهني، فيضَمِّنُ قصيدته بيتًا بارزا ينسبه لحسان، وهو لابن هانئ الأندلسي ويهدي القصيدة إلى الأمير المغموم بالهزيمة ليفَرِّجَ عن قلبه بعض الغم.

وهذا التضمين لبيت ابن هانئ يشير إلى أنّ القوم كانوا يعرفون ديوانه، ويحفظون منه ما يحلو لهم من مدائحه في المعز لدين الله الفاطمي، الذي حوّلَ مقرَّ دولته من المغرب إلى مصر، وهي الدولة التي امتد أثرها إلى اليمن مع الصليحيين حينا من الدهر.

ولِمُدرك بن بشر تضمينٌ آخر في القصيدة (ق٤)، إذ قال:

٦-وخيلٍ حَشَوْناها الأسنَّةَ بعد مَا تَكَدَّسْنَ مِنْ هُنَّا علينا ومِن هُنَّا

٧-ضُرِبْنَ إلينا بالسِّياطِ جَهالَةً فلمَّا تعاركْنَا ضُرِبنَ بِها عنَّا

وهذان البيتان من قصيدةٍ قوامها ١٥ بيتا، للمتنبي في سيف الدولة في سنة ٣٤٠هـ[٢]. وقد ضمنهما الشاعر الحاتمي قصيدته التي أنشأها على لسان قائد الحامية الأيوبية بصنعاء حسن بن علي رسول، وهذا أرسلها إلى سيده الملك المسعود الأيوبي وهو في زيارة لمصر... وأحسب أنّ الشاعر الحاتمي قد ضمن البيتين في قصيدته قصدا، وأكثر من ذلك أحسبه اختارَ الوزن والقافية والموضوع واتخذها منوالا، نسج عليه تعبيره عن النصر الذي تحقق، والبشارة التي ستحملها القصيدة إلى المسعود، وهذا يشير إلى حضور شعر المتنبي عند الحاتميين وشعراء اليمن وحفظهم له، واستمدادهم منه.

وقال مدرك في القصيدة نفسها، (ق٤):

٨-وشيمتُنا وَصْلُ السيوفِ بِخَطْوِنَا إذا أقْصَرتْ حتّى تُبِيدَ العِدَى طَحْنَا

وفي هذا البيت الْتماسٌ من قول كعب بن مالك الأنصاري:

---

(١)البيت مطلع قصيدةٍ لابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ). ينظر: "تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني:، زاهد علي، ص٣٢١. و"ديوان ابن هانئ الأندلسي"، تقديم كرم البستاني، ص١٦١.

(٢)ينظر: "شرح شعر المتنبي"، لابن الأفليلي، تح: د. مصطفى عليان، ٣٦٧/١-٣٧٣. وشرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ٢٩٩/٤.

نصلُ السيوفَ إذا قَصَرْنَ بخَطْوِنَا قِدْمًا ونُلْحِقُها إذا لمْ تلْحَقِ[١]

وهذا حضور لشعر الفروسية العربية في ذاكرة الشعراء في اليمن في ذلك العصر، الذي يُمْكِنُ أنْ نطلقَ عليه عصر الفروسية في اليمن.

وفي القصيدة (ق٥)، الأبيات الآتية: للشاعر عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم، يبلغ الشاعر ذروة غضبه بعدما قام أشخاص تابعون لعامل الإمام أحمد بن الحسين في صنعاء، واسمه محمد الرقيمي، بضرب زرع الشاعر الحاتمي، ذلك الزرع الغض المنتشر في أرضٍ واسعة، وكان ينتظر منه أنْ ينتج منه غَلَّةً من القمح والشعير وغيرهما ما يكفي لغذاء سنةٍ كاملة ويزيد، فقال:

٩- أغَارَ علَى زَرْعِي بِأَلْأَمِ عُصْبَةٍ فأصبحَ زرعِي مِنهُ صِفْرَ المَعالِمِ
١٤- بِرَبِّي لقد عَدَّى الرقيميُّ طورَهُ وقامَ علَى همدانَ قَوْمَةَ نَاقِمِ
١٥- وما كنتُ عن قتلِ الرقيميِّ عاجِزًا ولو أنَّه ليثُ الكِفَاحِ ابنِ ظالِمِ
١٦- ولكنَّ راقبْتُ الإمَامَ ومَعْشَرِي بنِي حاتمٍ أهلِ الندَى والمَكَاتِمِ

فجعل الاعتداء على زرعه اعتداءً على همدان كلها، وأشار إلى أنه كان باستطاعته إيقاف فعل الرقيمي وعسكره، أو الاقتتال معه وقتله، لكنه راعَى في الأمر الإمام، إذ ربما كان الرقيمي يفعل ذلك من غير علمه، ولذا فإن الإمام سينصف المظلوم، أو مراعاةً لرأي قومه، فربما كان لهم رأي آخر، ونرى في البيت ١٥، توظيفا لحكاية الحارث بن ظالم المري، ذلك الفاتك الشجاع المشهور في العصر الجاهلي، الذي ضُرِبَ به المثل فقيل: «أمْنَعُ مِن الحارثِ بنِ ظالم»[٢]، وهذا دليل على حضور الأمثال العربية في أشعارهم.

ومما استند إلى قولٍ سابق قول شاعر همدان عزان بن عمرو بن بشر بن حاتم في القصيدة (ق٦)، التي ندد فيها بالإمام أحمد بن الحسين، لأنه أغضبه وأغضب همدان بتمكين عامله من إهدار أموالهم الزراعية كما في القصيدة الأولى ثم ما كان من حكمه بقَتلِ نفرٍ منهم، وهذا ما أشعل غضبهم وأنفتهم فخرج عنه من كان منهم في طاعته وارتفعوا إلى حصونهم، قال:

٢٤- وأرضَى سَعِيْدَ الشَّوْحَطِيَّوجِنْسَهُوأغضبَ مِن صيدِ القبائِلِ مَعْشَرَا
٢٥- وقد قالَ فِيهِمْ شاعرٌ ذو فصَاحَةٍ غَدَا بسديدِ الرَّأْيِ والفِعلِ أخْبَرَا:
٢٦- (ولا تُغضِبُوا بالعَزْلِ أقْيالَ مَعْشَرٍ إذا غَضِبوا عَلَّ القَنَا وتكسَّرَا)

فالبيت ٢٦ تَضْمينٌ لبيتٍ قاله جدُّهم القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني، من قصيدةٍ خاطبَبها ملك الدولة الصليحية الثاني الملك أحمد المُكَرَّم (ت٤٧٧ هـ)، وابنَ عمِّهِ أبا حمير سبأ الصليحي قائدَ المحور الشمالي الغربي من اليمن، عندما حاولا عزلَه من عمله على رأس ولاية صنعاء، فنزلَ إلى المكرم بحصن التَّعْكَر المطلّ على ذي جبلة، وتوجهَ إليه وإلى ابن عمه أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي بقوله[٣]:

ولا تَجْرَحَا بالعزلِ أكبادَ مَعْشَرٍ إذا غضبوا عَلَّ القنَا وتَكَسَّرا
وإنْ أنتما أنكرتُمَا ما نَظَمْتُهُ فصِدْقِي غدَا مِن طَلْعَةِ الشمسِ أشْهَرا

(١)"ديوان كعب بن مالك الأنصاري"، تحقيق سامي مكي العاني، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٧م، ١٩٥.
(٢)"مجمع الأمثال"، للميداني، (٢٨٢٠)، ٨٩/٢.
(٣)الأبيات في "عيون الأخبار"، إدريس الأنف: ٣٧٣/٧.وفي "الصليحيون" حسين الهمداني: ١٣٧.

يزعم الفارس الشاعر عزان أنّ غضبَ قومِه ممن يستنقصُ حقَّهم غضبٌ عريق، بل إنه لا يجرؤ أحدٌ أنْ يفعل ذلك، منذ زمن طويل، ومنذ أنْ استعادَ جدهم عمران بن الفضل ولايةَ صنعاء، بعد محاولة الصليحيين عزله، تلك المحاولة التي تُشْعِرُ بأنهم كانوا يتوجسون خيفة منه.

وفي القصيدة (ق٦) أيضا قال هذا الشاعر:

٢٩-ألاَ فاشْهدوا أنِّي عذَرْتُ ابنَ أيْهَمٍ رئيسَ بني غسَّانَ لَمَّا تَنَصَّرَا
٣٠-فوَاللهِ لولا اللهُ لا شيءَ غيرهُ لَيَرْكَبُ فِيها كِبْرَهُ مَنْ تَكَبَّرَا
٣١-فقلْ لِذُرَى قحطانَ للهِ دَرُّهَا وخُصَّ بِها همْدان قومِي ومَذْكَرَا
٣٢-عَلامَ وفِيمَ اليومَ تُغْضِي على القَذَىأكانَ لها عُذْرٌ هناكَ فَتُعْذَرَا

يبرر الشاعر اللجوء إلى النفس وانفعالاتها كالغضب أحيانا لاستعادة الكرامة، وإنْ كان ذلك في المجال المُهلك، ولذلك عاد الشاعر إلى حكاية غضبِ جَبَلَةَ بن الأيهم الملك الغساني، الذي كان في حِلْفِ الروم، ثم أسلم، فلما ثارتْ نفسُه غضبًا من مساواة الإسلام بين الناس ملوكِهم وعامتِهم، دفعته ألاّ يقبلَ أنْ يساوى بشخصٍ من عامة الناس في الأُرُوش، ومن عَزْمِ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إنصافِ الرجلِ الذي هشَمَ جبَلةُ أنفَه، إنْ لم يرضِه، ففرَّ جبلةُ من بين يدي عمر، ثم ظنَّ ألا مكان ينجيه من أخذ الحق منه في أرض الإسلام، فلجأ إلى قيصر الروم وتنصَّر[١]. فاستوحى الشاعر الحاتمي في بيته الشعري تلك الحكاية، ليبررَ غضبَ همدان وأنفتها وخروجها عن طاعة ذلك الإمام، ما دفع الأستاذ الشامي إلى القول: «إنّ آلَ حاتم لو وجدوا من مُداراةِ الإمام ومحاباته، حتى ولو بأقلّ مما ينتظرونه من المظفر وآل رسول، لمَا فارقوا سوحَهُ،ولَظلّوا له وزراء وقادة، وشيدوا معه دولةً كتلك التي شيَّدَها المظفر»[٢].

وفي القصيدة (ق٧) البيت نلاحظ الشاعر يقول:

١٩-فلَما قَضَينا عِندَهُ كُلَّ حاجَةوجُبْناالمَراسِيوهْوَ كانَ مُحَرَّما

وفيه يتذكَّرُ الشاعر قول السابق:

ولما قضيْنا مِن مِنًى كلَّ حاجةٍ ومَسَّحَ بالأركانِ مَن هو ماسِحُ[٣]

وهكذا ترَى أنّ كل قصيدة إذا ارتفع صوتها وقارب ذروة التعبير عن الحالة التي يكونُ عليها الشاعرُ أبرقَ التناصُّ وأرعدَ وأمطرَ خِصْبًا للمعنَى وقدَّمَ الذروةَ التي يتجه بعدها المعنَى نحو الاكتمال، ولهذا لا غروَ إذا قدمنا هذه المسألة على غيرها، هنا فمعالجتها كانت القاسم المشترك بين المراد التعبير عنه والطريقة في التعبير، والوسيلة التعبيرية.

(١) ينظر: "المنتظم"، ابن الجوزي، تح: محمد عطا ومصطفى عطا، ٢٥٦/٥، وما بعدها.

(٢)ينظر:"تاريخ اليمن الفكري"، ١٩٥/٣.

(٣)البيت منسوبٌ لكثير عزة ولغيره، ينظر: ديوان كثير عزة، تح: د.إحسان عباس، بيروت دار الثقافة، ١٩٧١م، ٥٢٥-٥٢٦.

٥ - من جماليات التعبير الشعري في أشعار أولاد حاتم وأحفاده:

جماليات الصناعة الفنية:

فضلا عن الأوزان والقوافي المنضبطة في جميع قصائد المجموع، فإنّ الشعراء فد استخدموا كثيرا من التقنيات الشعرية التي تكسب القصيدة تدفقا سهلا لألفاظها المتناغمة، ورنينا جذابا يجعل المتلقي يشعر بالمُكْنَةِ الغنائية المرموقة للقصيدة، ومنها:

١ - فن الترديد أو رد الأعجاز على ما تقدمها:

كما في قول عمرو بن بشر:

١- أَمَوْلايَ ما أَسْرِي بِبدْعٍ فلمْيَزَلْ كذا الناسُمأسورٌ وآخرُآسِرُ

فالبيت يحتوي على كلمة القافية آسر، ومعها مأسور، وأسري، فهذا التوظيف لصوت السين والراء، فضلا عن صوت السين في كلمة الناس، قد جعل البيت يصلصل كالجرس، ليُنَبِّهَ على المعنى المراد بثه إلى المتلقي/والد الشاعر، الأمير الحاتمي الذي يأنف أن يظل ابنه أسيرا. ولذا فالبيت سيحثُّ ذلك الأب للسعي الفوري للتأتي للأمر، وإقامة الحوار مع الملكِ الآسرِ لولديه لإطلاق سراحهما. وهذه التقنية في ترديد الصوت بين القافية وما سبقها من كلمات سواء في شطر البيت الأول أو في شطريه تسمَّى عند النقاد العرب ردّ الأعجاز على الصدور، أو ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، بحسب تعبير ابن المعتز(١).

وفي قصيدة علوان:

١-أَسَاداتِ الوَرَى مِن كُلِّ حَيٍّ وأسْمَى في المعالي مَنْ يُسامي
٢-وأَرْبَطَها لدَى الهَيْجَاءِبأسًا وأحماها إذا عَدِمَ المُحامِي
١٤-هُنالِكَ تنْدَمونَ ولا مَحِيصٌ إذا حُمَّ القضاءُ لدَى الحِمَامِ
١٧-فَتًى هَزَّتْ بَنُو أيُّوبَ منهُ حُسَامَ مَضَى يَفُلّ شَبا الْحُسامِ
٢١-فَذَبَّ بِرأْيِهوالسيفِ عَنْهُمْ وقامَ بِمُلْكِهِمْ أوْفَى قِيامِ

يلاحظ القارئ الفن السابق يتكرر في عدد من أبيات قصيدة علوان بن بشر، فقد رد كلمات القافية على ما تقدمها في الشطر الثاني من كل بيت، وتكرر صوت السين في البيت الأول ثلاث مرات، في أول كلمة من البيت وفي أول كلمة في الشطر الثاني، وفي آخر كلمة من البيت، مما أدى إلى ظهور الصلصة الجرسية المفتتحة للكلام، فضلا عما بين الكلمات المكررة اشتقاقيا، وما في التكرار من ثراء المعنى المتولد عن الجناس الناقص الناتج عن التكرار.

وقال عزان بن سعيد:

١٣-فشمِّرْ لِشَيدِ المجدِ إذ أنتَ أهلُهُوتَمِّمْ علَى اسْمِ اللهِ تُدْعَ مُتَمِّمَا

فردّ كلمة القافية (متمما) على فعل الأمر:(تمم)، الذي غرضه الحَثُّ بحسب جريان المعنى في القصيدة.

٢ - الجناس والمطابقة:

قال مدرك بن بشر:

ومَنْ شهِدَتْ صنعاءُ لولا بلاؤهُ لَمَا فارقتْ رُعْبًا ولا رافقتْأمْنا

فالجناس الناقص واضح بين فارقتْ ورافقتْ، والمطابقة بارزة بين فارقت رعبا ووافقت أمنا، وبين الرعب والأمن تضاد، وهذه المحسنات البديعية، من أبرز ما كان من البديع في الشعر العربي.

(١)البديع،ابن المعتز ، تحقيق: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢،ص٤٧.

وفي قوله:

هي غـلْطةٌ في الدهرِ لا بلْ غِـبْطَةٌ أودتْ بسَهلِ الوِرْدِ ضَنْكَ المَصْدَرِ

حيث جانس بين غلطة وغبطة، وطابق بين سهل الورد وضنك المصدر.

وقال عزان بن عمرو بن بشر:

وما دَامَ في همـدانَ مَن يُـرْعِفُ القَـنَا بَلَـغْتُ الـمُـنَى بالمرهفاتِ الصّـوارِمِ

وكافَـيْتُ أكَـفائِي فـأمَّا محـمّـدٌفأكـفَاؤُهُ الأنـذَالُ أهـلُ الـمَـحَاجِمِ

أراد بمحمد: الرقيمي عامل الإمام، أما الجناس ففي (كافيت أكفائي)، أراد بكافيتُ: طارحتُ أو ناضلتُ، وأكفائي المساوين لي في المنزلة.

٣ - الصورة الفنية:

الشاعر إنسانٌ قادرٌ على ناحيةٍ من الحياةِ، ولا يقدر غيره على مثلها تماما كما يقدر هو، وينصرف إلى خدمتها وصقلها وإبراز مكانته فيها، وعندما يكون في أحسن مكان منها، لا تراه يجيد غيرها كما يجيدها، كامرئ القيس وحسان بن ثابت وأبي نواس والمتنبي مثلا، فكل واحد من هؤلاء ما كان يتفوق في غير الشعر، وثبت ذلك من خلال التجربة... ومِنَ الناس مَنْ يقدرُ على أكثر من شيء، لكن الجودة العليا تُفقَد منه، إذ تتوزعه الهموم بالأمور المختلفة، وبقدر تعددها يقلُّ إبداعه لأمر منها. ولذا ترى في الناس مستوًى من الشاعرية أو الشعورية المتفاوتة، تجعلهم يميلون إلى الشعر أو الإعجاب به، بمستويات متفاوتة من الميل. وربما كان لكل صناعة أهلٌ جُبِلوا عليها وخلقوا لها.

ولما كان الشعر نمطا من التعبير اللغوي كان تولده عن علتين بنظر ابن رشد المتأثر بأرسطو والمستمد من ابن سينا؛ أما العِلَّةُ الأولى: فالإنسان يقدر بطبعه على التشبيه والمحاكاة، من أول ما ينشأ... وأما العلة الثانية: فالتذاذ الإنسان بالوزن والألحان، بطبعه أيضا... ومن عِلَّتَي الالتذاذ بالتشبيه والمحاكاة والوزن والأحان... يمكن أنْ تتولد الصناعات الشعرية ولاسيما عند أهلِ الفِطَر الفائقة في ذلك[١].

وللجاحظ المقولة الشهيرة التي تلخص الصناعة الشعرية، وهي: «المعاني مطروحةٌ في الطريق، يعرفها العجمِيُّ والعربي، والبدوي والقروي، وإنّما الشأنُ في إقامة الوزن، وتَخَيُّرِ اللفظ، وسهولة المَخْرَجِ، وفي صحّةِ الطبع وجودة السبك، فإنّما الشعرُ صناعةٌ، وضَرْبٌ مِنَ النسْجِ، وجِنْسٌ مِن التصوير»[٢]

وإذا كانت خصوصية النوع الشعري تبدو فيما يؤلف عليه من الأوزان، فإن تمايزه يتم بالمحاكاة التي يمكن أنْ يُعَبَّرَ عنها بمصطلح (العدول)، وهو الخروج عن مألوفِ القول وعُرْفيِّ التعبير، يرَى الدكتور صلاح رزق أنّ: ذلك يتأتى بوسائل توشك أنْ تكون غير محصورة، وإن جاز اعتبارها داخلة في ضروب المجاز[٣]. وأبرز نواحي المجاز ما يندرج تحت الصورة الشعرية، ومنها التشبيه والاستعارة والكناية:

ولما لم يكن بين أيدينا كل شعر الشاعر من أولاد بشر بن حاتم الهمداني وأحفاده، فإننا سنقف على أمثلة من القليل الذي توفرنا عليه من شعرهم لتبين مدى تمكنهم من الصورة الشعرية التي مارسوها إلى جانبٍ من الفروسية التي اشتهروا بها في تلك المدة. ونبدأ بفن الكناية الذي برعوا فيه:

---

(١) ينظر: "تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر"، لابن رشد، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧١م، ص٦٩-٧١.

(٢)"الحيوان"، للجاحظ، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٥م، ٣/١٣١-١٣٢.

(٣)"أدبية النص"، د.صلاح رزق، الفاهرة، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٨٩م، ص٧٧.

١ ـ الكناية:

استخلص البلاغيون أنّ الكناية هي الطريق الثالث من طرق البيان، وتكمُنُ قيمتها فيما فيها من دلالات تنقل المتلقي من معنى إلى معنى آخر، قال الجرجاني الكناية: «أنْ يريدَ المتكلم إثباتَ معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءُ إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه»(١).

من الملاحظ تقدّم الكناية في شعر هؤلاء الفرسان من ولد بشر بن حاتم الهمداني، ومَرَدُّ ذلك في ظنِّي إلى كثرة ما دخل على حياتهم والناس في اليمن في تلك الحقبة من الخلافات، وتعدد الاتجاهات والمواقف، واختلاف الأطراف المتصارعة على الحكم والمصالح بشكل عام، وما كان عليه آل حاتم ووالد هؤلاء الشعراء من الحنكة السياسية، والقدرة على ابتكار طرق الدخول في الأمور، والخروج من المآزق، ولين الجانب، مع اللعب على أوتار الاختلاف، إذ كانت الدولة الأيوبية ثم الرسولية تَـؤُزُّهم مِن جنوبهم، وهم في صنعاء، وأئمة صعدة يجابهونهم من شمالهم، ومصالح القبائل تلتف عليهم من هنا وهناك، ولذا كانوا في حاجة لمثل تلك المرونة، فغلبت الكناية في فَنِّهم الشعري على فني التشبيه والاستعارة، ومن تلك المواقف أنْ يُغلبوا في مواجهة ما، فتراهم يقابلون الغالبَ لهم بالترحاب الذي يدهش الغالب، ومثال ذلك أنه لـمّا غلبهم الملك الأيوبي العزيز طغتكين على حصني الفصّ الصغير والفصّ الكبير وأسرَ ولدي السلطانَ بشرٍ عمرٌو وعلوانُ قال عمرو بن بشر:

١ ـ أَمَوْلايَ ما أسْرِي بِـبدعٍ فلم يَزَلْ كذا الناسُ مأسورٌ وآخرُ آسِـرُ
٢ ـ وإنْ ظَفِرَ الـمَـولَى بنا وبِحِـصْنِنا فللهِ مَظْفُـورٌ! ولله ظافـرُ!
٣ ـ مَلِـيكٌ عــزيزٌ، لايُـعَـيَّـرُ، نَـابِهٌلَسَانٌ(٢)، مُـذِلٌّ للجـبابرِ قاهـرُ
٤ ـ فلا غَروَ كَمْ مَنْعٍ قهرْنا وسيدٍ أسـرْنا وأعطـتْنا الـمَـقادَ العشائرُ

ففي رأيهم أنّ السيطرةَ على الحصنين ووقوعهم أسرَى، ليس مما يعد انكسارا ولا هزيمة، وإنما كانتْ ظفرًا لِمَلكٍ مقتدر، خلفه جيوش جرارة، ويتصف بالعزة والنباهة والفصاحة والقهر للجبابرة، وليس فيه شيء مما يُعَيَّرُ به الرجال كما ترى في (ب٣)، وفي البيت الرابع تبرز الكناية عن علو منزلتهم وقوتهم وسؤددهم، إذ لم يكن أسرهم بسبب جبن ولا خور ولا ذلة، كما قد يظنه من يتشفى بهزيمتهم، وإنما هم على فرط شجاعتهم وبسالتهم ومقدرتهم القيادية لا تعيبهم غَلَبَةُ من يتفوق عليهم.

وفي قوله:

٨ـ وما شعروا أنَّ العَظائِمَ كُلَّها الْـ ـكِبارَ وإنْ هالَتْ لديكَ أصاغِرُ

كناية عن أنّ والدهم الفارس بشر بن حاتم، الذي تصغر العظائم في نظره، وقد أشرنا إلى تأثر الشاعر بالمتنبي، في مدح سيف الدولة بهذا المعنى، وهي كناية عن علو مراتب الرجال الأبطال، الذين تهونُ عليهم المصائبُ الكبرَى لأنّ لهم لهم مقدرة على رؤية الأمور البعيدة والتحسّب لها، لذلك يكونون على يقين أنّ بعد العسر يسرى، لكنهم يعدون للأمور عُـدّتها. ومن مظاهر سؤدد آل حاتم؛ أنّ الملك العزيز طغتكين بن أيوب لما شدّد حملته على حصن كوكبان وكان فيه عمرو بن السلطان علي بن حاتم، فلما تسلَّمه العزيز في ذي الحجة سنة ٥٨٥هـ، عَمِلَ السلطان عمرو بن علي الضِّيفَةَ الطائلة للملك طغتكين،

(١)"دلائلالإعجاز"، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط٣، ١٩٩٢م، ص٦٦.

(٢)اللَّسَنُ بالتحريك: الفصاحة، واللَّسَنُ: جودة اللسان وسلاطته؛ فهو لَسِنٌ ولَسَانٌ.

فتعَجَّب الملك من شرف همَّة عمرو وفي ضيفته، وقال: «لم نرَ مثلَ هؤلاء القوم، نأخذُ حصونَهم ويلقوننا بالكرامة»[1].

وقال علوان بن بشر بن حاتم يخاطب الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة بعد معركة عصر الشهيرة، فقال:

٥-وأسمَعُكم أحَقًّا ما سَمِعْنا فما يَشفي سِوَى صِدقِ الكلامِ
٦-بأنَّ جُمُوعَكمْ طَارتْ شَعَاعًاولَمَّا تَخْشَ عاقبةَ المَلامِ

أي (أحقًّا ما سمعنا بأنّ جموعكم طارت شعاعا)، أي تفرَّقت وتمزقت منهزمة؟! وقال:

٢٠-فأعْطِ القوسَ باريها ودعْها فقد أوْدَعْتَها في كَفِّ رامِي

فقد أورد المثل وجعله كنايةً تشيرُ إلى أنَّ علَى عز الدين ومن معه أن يتركوا الرغبة في شيء لا يقدرون عليه، ويسلموا القياد للقائد القادر على حسن سياسة الأمور، وأراد به الملك الأيوبي المسعود على اليمن آنذاك.

وقال مدرك بن بشر بن حاتم:

١-غُضِّي رَناكِ عنِ الْهِزبر المُخْدِروقفي قليلا لا أبَا لكِ، وانظري
٢-عما قليلٍ والفَلاةُ تَجُسُّها أيدي السِّباعِ بكلِّ ظُفرٍ أخْضَرِ
٦-يا عِزَّ دين الله كمْ من مُهْجَةٍحَمِدَتكَ حين سَلَلْتَ صافي الجَوْهرِ
٧-غادرتَ فيضَرَمِ الوَطِيسِبحسّها والموتُ يمشي مِشيةَ المُتَبختِرِ

في البيت الثاني تتركز الكناية، في جسّ أيدي السباع ساحة المعركة بأظافرها، والخضراء هنا بمعنى المبلولة بالدم المسفوح، وذلك حين تتداعى السباع لرائحة الدم، والدم ناتج عن الصرعى في المعركة، وصرعى المعركة دليل على انكسار جيش المشار إليه في القصيدة، وعبر بـ(ضرم الوطيس) وهو ارتفاع حرارة النار في حفيرةٍ يخبز فيها ويشوى، والتنور، وذلك كناية عن اشتداد المعركة، التي غدت تنضِج أجسادَ المحاربين، وتعدها لوجبة السباع الكاسرة.

وقال مدرك:

١-سَلا ذاتَ سِمْطِ الدُّرِّ والمَارِنِ الأقْنَىلدى عَصُرٍ مَنْ أصْدَقَ الضربَ والطعنا
٢-ومَنْ شهِدَتْ صنعاءُ لولا بلاؤهُ لَمَا فارقتْ رُعْبًا ولا رافقتْ أمْنا
٣-وقدْ كانتِ البيضُ الخَرائِدُ خيفةَ الـ ـسّبَا من أعاديـنا أسَأْنَ بنا الظنَّا
٤-فلمَّا تدانَى الفيلَقَانِ عشِيَّةً غدا الهامُ فيها منهُمُ والظُّبَا مِنَّا
٥-ورحْنا إلى قصرِالقليسِ نُصافِحُ الْكؤوسَ ويُغنينا النديمُ وقد غَنَّى

تحتشد الكناية في هذه الأبيات، فإذا قرأنا الفعلَ (سلا) في ب١ بمعنى نسِي فالبيت كناية عن أنّ الفرسان الذين دخلوا المعركة وحققوا النصر كانوا قد ابتعدوا عن الانشغال بالنساء الحسان، اهتماما بالفروسية، واستعدوا للمعارك، فتحقق النصر لهم. وإذا قرأنا (سلا) من السؤال المسند للاثنين، وأنْ يوجه السؤال للحسناءالتي علمت مقدارَ بطولة الفرسان الذين دخلوا المعركة، وذادوا عن صنعاء فأمِنَت القلوب الرقيقة، التي كانت تخافُ أنْ تقعَ فريسة السّبْي إن انتصر المهاجمون! ولولا بطولة الرجال الذين حققوا

(١)"السمط الغالي الثمن"، ص ٣٦، وينظر: "قرة العيون"، تح: الأكوع، ٢٧٩-٢٨٠.

الظفر لما فارق أهل صنعاءَ الرعبَ من النهب والسلب والسبي، ولا رافقت الأمن الذي جعلها في فرحٍ وابتهاج... وفي ب٣: وكانت النساء الحسان (أسأن بنا الظنا) كناية عن التوجس من الهزيمة وما سيحيق بالحرائر من الاستعباد... وفي ب٤ (غدا الهام منهم والظبا منا) كناية عن التفوق في المعركة، فرؤوس المهاجمين هي التي تسقط بسيوفنا، وفي ب٥ يتحدث الشاعر عن العودة إلى المدينة بالنصر، للاحتفال فكنَّى بمصافحة الكؤوس والاستماع للأصوات المطربة عن الفرحة بالنصر.

وعزان بن عمرو بن بشر يستخدم الكناية في شعره ومنها:

٩-أغَارَ علَى زَرْعِي بِأَلْأَمِ عُصْبَةٍ فأصبحَ زرعِي مِنهُ صِفْرَ المَعالِمِ

ففي قوله: (أصبحَ زرعِي مِنهُ صِفْرَ المَعالِمِ) كناية عن شدة إتلاف الزرع، حتى كأن الحقول المملوءة بخضرة الزروع غدت تربة جرداء بعد تخريب زرع الحنطة والشعير والذرة وغيرها. وقال:

٢٦-وفي حِصْنَيِ الفِصِّيْنِ مِنَّا عِصَابَةٌ كأُسْدِ الشَّرَى في المأْزَقِ المُتَلاحِمِ

فقوله: (في المأزق المتلاحم) كناية عن المعركة. وفي قوله:

١-حلبتُ زمانِي يا ابنَةَ العمِّ أشْطرَا وقلَّبْتُ آرائِي بُطُونًا وأظْهُرَا

يكني الشاعر في الشطر الأول من البيت عن طول مراسه وخبرته بأمور الحياة، ومعرفته بمداخل الأمور ومخارجها، والخبرة بالناس، ومعرفة التعامل معهم، وفي الشطر الثاني كناية عن التروِّي وإطالة النظر في الأمور، ولاسيما في المآزق والمواقف الصعبة، والمصائب الخطيرة، ذلك لأنه لطول خبرته بالحياة أصبح لا يتسرّع في اتخاذ قرار حتى لا يقع في الخطأ، فيتحمل وزره أو يعود عليه بالوبال والخسران وفقْدِ المروءة ودواعي احترام الناس له. وقال:

٧-فلمَّا استقلَّتْ فِي أَزَال رِكَابُهُ أناخَ على الإسلامِ حتَّى تَدَعْثَرَا

في هذا البيت يندد الشاعرُ بالإمام أحمد بن الحسين لما دخل صنعاء، فقوله: (استقلَّتْ فِي أَزَال رِكَابُهُ) كناية عن الاستقرار في كرسي الحكم في صنعاء وما والاها، وقوله: (أناخَ على الإسلامِ حتَّى تَدَعْثَرَا): كناية عن انفراده بالأمر واشتداد تسلّطِه على الناس، وإبراز جبروته في إخضاعهم، حتى تفرقوا عنه.

وعند إشادة الشاعر بالدولة الرسولية باليمن وبواليها على صنعاء محمد بن حسن بن علي رسول، وكان حينها متحصِّنًا في حصن براش شرق مدينة صنعاء بعيدا عن سطوة الإمام أحمد بن الحسين، قال:

١٦-وزُرْنَا بَرَاشًا والجوادَ محمدًا فمَنْ زارَهُ لم يغدُ فِي الناسِ مُعسِرَا

جعل قوله (فمَنْ زارَهُ لم يغدُ فِي الناسِ مُعسِرَا) كنايةً عن كرم ذلك الوالي وكثرة عطائه وحسن تصرفه. وقال:

٣١-فقلْ لِذُرَى قحطانَ للهِ دَرُّهَا وخُصَّ بِها همْدان قومِي ومَذْكَرَا:

٣٢-عَلامَ وفِيمَ اليومَ تُغْضِي على القَذَى أكانَ لها عُذْرٌ هناكَ فَتُعْذَرَا؟

٣٣-هو الموتُ أقصَى ما يُخَافُ ويُتَّقَى فما لِيَ لا ألْقَاهُ نَدْبًا مُشَمِّرَا؟

فالشاعر بقوله (عَلامَ وفِيمَ اليومَ تُغْضِي على القَذَى) والقذى في اللغة: ما يقع فِي العين والماء والشراب من تراب وقشّوغيره، وقد جعله الشاعر كناية عما أصاب القوم من تحمّل الذلِّ الذي يسومهم به الإمام، فالشاعر بهذا يعلنُ استنكاره لما كان من صمتِ القوم، وصبرهم وسكوتهم على استبداد الإمام بالحكم، والبطش الذي ينالهم منه، وهم في طبعهم لا يقبلون الضيم.

أما في قصيدة عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم التي مدح بها الملك المظفر، على لسان الأمير أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، ففيها تنديد بالإمام أحمد بن الحسين، ومنه قوله:

٧-ملكْتَ فلمْ تَـفْخَرْ ونِلْتَ فلمْ تَطُلْ وجُدتَ فلمْ تَتْرُكْ على الأرضِ مُعْدِمَا
٨-وصُلتَ فلمْ تتركْ عليها مُعانِدًا ولو أنـَّـهُ يرقَى إلى الجوِّ سُلَّما

فقوله: (ولو أنـَّـهُ يرقَى إلى الجوِّ سُلَّما)، كناية عن أنه يتتبع المعاندين من خصومه، ولا يعييه اللحاقُ بهم أينما كانوا، ويأخذهم إليه بالعطاء والترغيب، أو بالجزاء والخسران، فكأنّه لا ملجأ لهم منه.

وقال عزان بن سعيد بن بشر في تحذيره لأبناء عمه المختلفين في حصن ذمرمر:

١-ألاَ أبلِغَا أَبْنَاعلِيِّ بنِ حاتمٍ مَقالاً لهُ شُمُّ الشَّنَاخِيبِتَرجُفُ

فادعاؤه أنّ أعالي الجبال الشمَّاء ترجف من المقال كناية عن أن المقال المقصود مَهُول، ومن شدة هوله ترجف له القلوب، حتى لَيُظنُّ أنّ ارتجاف القلوب ما هو إلا بسبب خارجي وهو رجفُ الجبال وتزلزلها، وهو هنا في موقع تحذير لأبناء عمه مما صار بينهم من خلاف، سيؤدي إلى تداعيات وخيمة، ونهاية تقصم ظهر ملكهم ومكانتهم ورفعتهم.

وقال عن قومه:

٤-وإنْ يشهدُوا صدرَ النَّدِيِّ فما لهمْ شريكٌ به مِن سائرِ الناسِ يُعْرَفُ

في البيت كناية عن رفعة قومه، وأنه بسبب مكانتهم العالية بين الناس يجدون التقديم ولاسيما في عظائم الأمور.

وقال يتفجع عليهم:

٧-وقولَا لـهمْ إنِّـي وإنْ كنتُ مُقْعَدًا فقلبيَ مِمَّا نالَـهمْ يُـتَخَطَّـفُ

تَخَطُّفُ القلب هنا كناية عن شدّة الحزنِ والألم مما أصابهم من الاختلاف والتشرذم.

٢-التشبيه:

أخذ التشبيه المرتبة الثانية في الحضور في شعر أولاد بشر بن حاتم وأحفاده، بعد الكناية، ومن التشبيه قول علوان بن بشر بن حاتم:

١٠-ونورُ الدينِ والبدرُ الـمُـرَجَّى لُيوثُ الحربِ في يومِ الصِّدامِ
١٢-فماذا تصنَـعُونَ إذا ألَـمَّـتْ جُنودُ الملْكِ في يَمَنٍ وشامِ
١٣-ولاحَتْ رايةُ المَسْعودِ فيها كلائِحَةٍ على أرجاءِ طَامِ؟
١٧-فَـتًى هَزَّتْ بَنُو أيُّـوبَ منهُ حُسَامَ مَضَى يَـفُـلّ شَبا الْحُسامِ

شبه الشاعر قائدَ حامية الأيوبيين على صنعاء الأمير نور الدين حسن بن علي رسول، وأخاه الأمير بدر الدين عمر بن علي رسول ومن معهما، عندما يدخلون المعركة بالأسود/الليوث الكاسرة في المعترك، شجاعةً وإقداما. وشبّه جيش الملك المسعود الأيوبي التي تأتي من جنوب البلاد وشمالها (من يمن وشام) بأمواج البحر الطامي عندما يقبل بالأعاصير العاتية التي لا يقاوم. وفي البيت الأخير يشبه المسعودَ بالسيف القاطع الذي يفلُّ السيوف، ولا يصابُ حدُّه بما يعيبه.

ومن تشبيهات مدرك بن بشر قوله يخاطب عز الدين بن الإمام عبد الله بن حمزة لما فرّ بمن بقي معه من معركة عصر:

٧-غادرتَ في ضَـرَمِ الوَطِيسِ بحسّها والموتُ يمشـي مِشيةَ الـمُـتَـبختِـرِ

ففي قوله: (والموتُ يمشي مِشيةَ المُتَبختِرِ) تشبيه الموت وهو يجول على الرقاب في المعرك برجل يمشي متبخترا متكبرا متعاليا، على أن في العبارة استعارة رائقة قبل التشبيه إذ جعل الموت يمشي فاستعار له قامةً ورجلين ورأسا وعنقا مائلا مُصعَّرا من الكبر. على أنَّ البيت احتوى على الكناية أيضا، وذلك بقوله: (ضرم الوطيس) أي: اشتداد المعركة.

ومن تشبيهات عزان بن عمر بن بشر قوله:

١٦-وزُرْنَا بَرَاشًا والجوادَ محمدًافمَنْ زارَهُ لم يغدُ فِي الناسِ مُعسِرَا
١٧-هُمَامٌ كنصْلِ السيفِ يَهتَزُّ لِلْعُلَى ويغشَى نواضيهاوُرُودًا ومَصْدَرَا
١٨-ويجلِبُها ما بين أحمرَ صَلْدَمٍوأدْهَمَ كالليلِ البهيمِ وأشْقَرَا

فقوله: همامٌ ، أي هو همامٌ كنصلِ السيف، شبهه بنصل السيف نُحْلا ومضاءً ورونقا ومهابةً. وفي ثالث الأبيات هذه يبرز تشبيه الخيل الدهماء، ذات اللون الأحمر المائل إلى السواد بالليل المظلم، فجعل لها مهابة الليل الحالك السواد.

ومن تشبيهات عزان بن سعيد بن بشر:

٢-سلامٌ كنشْرِ الروضِ باكرَهُ الحَيَا فأضحَى أنيقًا مشرقًا مُتَبَسِّمَا

أراد للسلامِ أنْ يكون ذا صورة ملموسةٍ في طيبه، فشبهه برائحة الحدائق المعشبة المزهرة التي صبحها المطر، فأضحت مليحةَ المنظرِ، مشرقةً زاهية مبتسمة، تنشر الفرح والسعادة.

وقال في القصيدة نفسها يشيد بالملك المظفر على لسان محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة عندما اجتاح صعدة يسانده جيش المظفر:

١٥-نَهضْنَا بجيشٍ منكَ يطمِيعُبَابُهُيضيقُ بهِ رَحْبُالفَضَا حيثُ يمّما
١٧-ويغشَى لظَى الحَربِ العَوانِ كأنَّها طَنِينُ ذبابٍ عندَه إنْ تَرنّما
٢٠-صَعَدْنَ بِنَا أعْمَالَ صعْدةَ سُنَّحًا تَبَارَى كأمْثَالِ السَّرَاحِين سُهَّما
٢١-ولاَحَتْ على الأقطارِ أعْلامُيُوسفٍكأنّ شُعاعَ الشمسِ منها تَبَسَّما

شبه الشاعر في (ب١٧) جيشَ المظفر، وهو صاحبُ الخبرة والتجربة، لِما كان من دخوله المعركة بعد المعركة (الحرب العوان) فما كان يتهيب الحرب، وإنما يقدم بشجاعة كأن الطرف المحارب الآخر يشبه بحركته وزمجرته طنينَ ذبابٍ لا أكثر. وفي (ب٢٠) يشبه الخيلَ وعلى ظهورها الفرسان وهي تجوب البلادَ، وتمضي تتسابق كأنها الذئاب/السراحين السريعة في الفلاة. وفي (ب٢١) شبه رايات الملك المظفر وهي تلوح على نواحي البلاد، وتتلمّظُ بضياء الشمس وشعاعها المشرق على الأرض، المبدد للظلام.

الغالب على الصور التشبيهية أنها جاءت من نوع تشبيه التمثيل الذي يتكرَّسُ فيه تدفق الصور وتتابعها على شكل مقطع تمثيلي متحرك، أو ما يمكن أن يعبر عنه اليوم بمقاطع الفيديو.

٣-الاستعارة:

تأتي الصورة الاستعارية في شعر أولاد بشر بن حاتم وأحفاده في المرتبة الثالثة من حيث الكثرة، وربما كان السبب أنّ الفارس الشاعر لا ينشغل بالفن أكثر من الفروسية، ولذا تأتي قصائده ذات قدرة تعبيرية عن اللحظة، متَّسِمة بالانسيابية والتلقائية والسجية، ومع هذا فلهم استعارات معتبرة، منها قول عمرو بن بشر:

٤-فلا غَروَ كَمْ مَنْعٍ قهرْنا وسيدٍ أسرْنا وأعطَيْنا المَقادَ العشائرُ

فجعل طاعة العشائر لحاتم وأبنائه بمثابة الرباط يقْطرُ به الناس، وذلك على سبيل الاستعارة. وقال عزان بن عمرو بن بشر:

٨-بأنَّ الرُّقَيْمِيَّ ارْتَقَى عَوْدَ مَجْدِهِمْ فصَدَّ أعَالِيهِ بِأَيْدِي المَظالِمِ

العَوْد بحسب "لسان العرب": الجَمَلُ المُسِنّ، وقد أضافه الشاعر إلى مجدِ همدان ليعبر عن مكانة ذلك المجد لديهم وعراقته، فجعله عَوْدًا، تعودوه هم ومضوا عليه حينا من الزمن، ويدّعِي الشاعرُ أنّ في تلك اللحظة الفارقة اغتصبَهُ مَن لا حقَّ له فيه، ولذا اشتدّ استنجادُ الشاعر بقومه لاستعادةِ ذلك المجد، وإلا ضاع من بين أيدي أصحابه وهو حقهم المعتاد. وفي قوله: (فصَدَّ أعَالِيهِ بِأَيْدِي المَظالِمِ)، صدَّ هنا بمعنى منع وردع، وأعالي الشيء ذروته ورأسه، وهنا يكون الشاعر قد ركَّبَ استعارة أخرى بجعلِه للمجدِ أعاليَ، والأعالي تقتضي أسافل، فهو هنا كالجبل الشامخ، أو المبنى العالي، لكن أعالي مجدهم إذن قد تعرضت للتخريب من الرقيمي، الذي صدّ أعالي مجدهم بغير حق، ولم يكتمل بناء الصورة بعد، فالشاعر يجعل ذلك الارتقاء للمجد العريق، وذلك الصدّ لأعاليه (بأيدي المظالم)، فجعلَ للمظالم أيدي تبطشُ بها وتفعل الأفعال المنكرة من الشاعر، تلك الأفعال التي تستدعي الوقوف أمامها بحزمٍ، كل ذلك لأن الرقيمي جمع رجالا من عسكر سيده الإمام أحمد بن الحسين، وهاجم بهم زرع الشاعر وأتلفه جميعًا، فصار صفرًا كما في قوله:

٩-أغَارَ علَى زَرْعِي بِأَلْأَمِ عُصْبَةٍ فأصبحَ زرعِي مِنهُ صِفْرَ المَعالِمِ

وقال هذا الشاعر في مطلع قصيدته الثانية:

١-حلبتُ زمانِي يا ابنَةَ العمِّ أشْطرَا وقلَّبْتُ آرائِي بُطُونًا وأظْهُرَا

جعل الزمانَ يحلبُ، فادعى أنّ له ضرعا يتم إفراغه المرة بعد المرة، وموسما بعد موسم، فاستعار له هذه الصورة من ضرع الناقة، وبهذا عبّرَ عن الخبرة الطويلة بالأمور حالا بعد حال، بين وفرة وفقر ورخاء وشدة... وجعل للرأي بطونا وأظهر على سبيل الاستعارة أيضا، وتفحّص تلك البطون والظهور تَفَحُّصّ الطبيبِ الذي يستشفُّ معاينة الحالةِ وتشخيصها من طيبٍ إلى مرضٍ وغيره، حتى يتمكن من وضع الأمور في نصابها.

وقال:

١٤-وشادَ العُلَا حتَّى استقرّتْ أصُولُها وشادَ عليها مَفْخَرًا ثمَّ مَفخَرَا

شادَ العُلَا، أي: تحلّى بالسمعةِ الحسنة المرضية عند الناس، فنال عندهم القبول، عبر الشاعر بالصورة الاستعارية حيث جعل السمعة الحسنة هذه بناءً عاليا بناه الممدوح وشيده، وجعلَ لذلك البناء أصولا تستقر، ثم زاد فيه طابقا فوق طابق من المفاخر.

وقريب منها قول عزان بن سعيد بن بشر:

١٣-فشمِّرْ لِشَيدِ المجدِ إذ أنتَ أهلُهُوتَمِّمْ علَى اسْمِ اللهِ تُدْعَ مُتَمِّمَا

إذ دعا المظفر إلى توالي الإقدام على بناء المجد وشيده فكأن المجد يرى صرحا وهو يرفع بنيانه طبقا فوق طبق، وهذا التصوير من باب استعارة البناء لما هو معنوي يعرف بالفكر من خلال مجموع الأعمال الكبيرة التي ترتفع بسمعة فاعلها بين الناس.

وافتتحَ عزان بن سعيد بن بشر قصيدةً له بقوله:

١-سَلامُ مَشُوقٍ ودُّهُ ما تصرَّمَا يزورك من نجدٍ وإنْ كنتَ مُتْهِمَا

فقوله: (ما تصرَّمَ وُدُّه)، استعارة جعل الشاعر فيها الودَّ كالزرع الذي تنضج سنابله وتبدو جاهزة للصرم، لكن شأن المجد أن يحافظ الناس عليه فلا يعرضونه للصرم والتلف، ويتصرف الشاعر في صنع استعارة أخرى، قال:

٦-ويا مُـخْـجِلَ الأنْواءِ والبرْقُ خُـلَّبٌ إذا جادَ برقٌ مِنْ نَوالٍ وأسْجَـمَا

استعار الشاعر الأنواء وهي نجومُ مطالعِ حساب المواسمِ المختلفة خلال السنة، ومنها أنواء المطر الغزير، فجعل الملك المظفر صاحب الكرم البالغ يخجلها بتفوق عطائه الواسع، بل إنه إن أخلف برق ولم تمطر سحابه، فإنه لا يخلف راجيه من العطايا المالية المتدفقة على الطارقين بابه. بحسب ادعاء الشاعر.

وقال على لسان عز الدين بن حمزة، وقد رأى في الخروج بدعوى الإمامة صراعا على مكاسب الدنيا، لا غير:

٣٥-ولَمَّا رأيْت الحَقَّ مُـلْـقًى زِمـامُهُ وليسَ سِوَى الدُّنيا مُرادًا ومـغْـنَما
٣٦-تَـنَـكَّـبْتُعن تلكَ السَّبيلِ ولمْ أعُجْعليها ولا في رَفْضِها مـتَـنَـدَّما

أي ولما رأيت الحق قد ألقى زمامه إليك أيها الملك المظفر، وأنّ أصل الخلاف ما هو إلا على مصالح الدنيا، تركتُ ادِّعاءَ الإمامةِ وسلمتُ الأمر إليك، وسرتُ في ركَابِك، ففي (رأيْتُ الحَقَّ مُـلْـقى زِمـامـه) استعارة، إذ جعل الشاعر للحق زمامًا، كزمام الجَمَلِ والخيل، الذي به يتم توجيهه إلى الطريق المطلوب كي لا يحيد عنها.

وفي معرض نصح عزان بن سعيد بن بشر لأبناء عمه أهل حصن ذمرمر:

١٢-أمَا راجعٌ منكمْ إلى فضلِ حِلْمِهِ؟أمَا عاطِفٌ منكمْ أمَا مُتَعطِّفُ؟
١٣-فلا تُرْخِصُوا ما كانَ بالأمسِ غالِيًا ولا تُسْعِدُوا مَن ظلَّ بالشرِّ يَرْجِفُ
١٤-أحَذِّرُكمْ مِنْ عَثْرَةِ الرأْيِ إنَّـها لَـمِنَ عَثرةِ الأقدَامِ أشقَى وأتْلَفُ
١٥-ولا تهدِموا مَا شادَهُ مُلْكُ حاتمٍ فـبُنيانُهُ سَامٍ على المجدِ مُشْرِفُ

فقد جعل للحلم وهو حسن الرأي وسلامة التصرف فضلا، أي زيادة، والزيادة برأي الشاعر هي ما تميزَ به آباؤهم الذين كانوا يتصرفون بحكمةٍ تميزهم عن غيرهم، وكان آباؤهم بتلك الحكمة يحمونَ مجدَهم بين الناس، والشاعر هنا ينهاهم ألا يرخصوا ذلك المجد بالاختلاف، فيستصغرهم الناس ويغوونهم بالآراء التي تفسدهم فاستعار الرخصَ للمجدِ، الذي بخلافه يظلُّ عالي القيمة، وكل هذا من باب الاستعارة.

ويحذرهم من عثرة الرأي، فاستعار العثرة وهي في كلام الناس للقدم تنزلقُ فيرتطم الشخص بالأرض، وربما انكسر ظهره من تلك العثرة، وجعلها للرأي الذي لا يوافق الصواب فيكون سببا في انكسار المكانة وسقوط القيمة عند الناس، فالزلل بالرأي ربما أفسد الحق والجمال والمروءة.

وينهاهم عن هدم ما شاده جدهم السلطانُ حاتم بن أحمد ذلك الذي ارتفع صيتهم بسبب حُسنِ تصرفه، إذ كان قائدا حازما حكيما، وفارسا وشاعرا، وسلطانا لقومه ولصنعاء وما والاها. فهدم بنيان المجد استخدام استعاري بارع، وله أثر نفسي على الذين وُجِّه الخطاب إليهم، وهم المختلفون، لكنّ السهم في ظني كان قد خرج من كبد القوس، وتوجه فأصاب هدفه، وسقط الأمرُ من أيديهم. فكانت النهاية كما جاء في قصيدة ابن هذا الشاعر، واسمه سالم بن عزان في قصيدته التي تمَّمَ بها الموضوع الذي طرقه والده، وأنهى بها قصة الخلاف ومنها:

١٣-فأعْـقَبَ ذاكَ المجدَ والعِزَّ ذِلَّـةٌ أُزِيلَ بها الطَّـوْدُ الأَشَـمُّ الـمُـنَـيَّـفُ

إذ كانت نهاية الخلاف أنْ ضعفوا واستكانوا، وسلموا حصنهم المنيع ذمرمر بقيمة قليلة وخرجوا منه، لكنّ اللافت للنظر أنّ حصونَ اليمن التي كانت في ذلك العصر تعني المنعةَ والعزّة والملكَ الكبير، أصبحت اليوم خرائبَ مهجورة، لا يسكنها الناس، لأنّ قوتها سقطت بعد اكتشاف البارود واستخدام المدافع، ولأنها في قمم الجبال العالية، وقد خلد الناس إلى العيش في المدن المتسعة التي تنشر فيها مصالحهم المعاصرة والحياة المرفهة. وحسب ما بقي من تلك الحصون أن تظل آثارا ومتاحف، تُذَكِّرُ بمجد مضى وانقضى.

الخاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى أن النصوص المتبقية من شعر أولاد بشر بن حاتم وأحفاده الفرسان تشير إلى ما يأتي:

١- أخبار الشعراء وأشعارهم في اليمن في القرنين السادس والسابع كانت كثيرة ثم غدتْ قليلة ونادرة بسبب قلة العناية بها ابتداء ثم ما نال ما بقي منها من التلف والضياع، إلا ما حفظته بعض كتب تاريخ اليمن المطبوعة والمخطوطة المتاحة.

٢- أنّ ما بقي من شعر فرسان همدان يتمتع بالسلامة اللغوية والصفاء والدقة في المعنى والفن.

٣- أنّ هؤلاء الشعراء قد التحموا بالثقافة العربية ونهلوا من دواوين الشعر العربي وتأثروا بذلك فظهر ذلك التأثير فيما تداخل في أشعارهم من تناص.

٤- تميز شعرهم باعتبارهم شعراء فرسانا باستخدام الكناية أكثر من وسائل التصوير الأخرى كالتشبيه والاستعارة، وذلك نظرا لإنّ الشاعر الفارس ينحو نحو الإشارة والرمز في كلامه مثلما يفعل في مواجهة خصمه في المعركة من الالتفاف والمخاتلة.

٥- تشير أشعار المجموعة المدروسة إلى أنّ الشعراء في اليمن كانوا على اتصال بالشعر العربي في الأقطار الأخرى واستيعابه والتأثر به وظهور ذلك في القصائد المدروسة.

٦- ما بقي من الأشعار المدروسة يبعث على الأسى على ما ضاع منها، ولو كان محفوظا لكان من ذخائر الأدب.

٧- وتوصي الدراسة بضرورة البحث عما يكمن العثور عليه من الضائع من مثل هذا الشعر، وألا يستهين الدارسون اليمنيون بتراثهم، وأنْ يترك الفرد روح الازورار عما ليس له، فالأنانية والأثرة والخلافات الساذجة قد تسببت في إهدار كثير من ثمار الفن والأدب.

المصادر والمراجع:

١. ابن الجوزي عبد الرحمن،"المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم"، تح: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة، الأولى ١٩٩٢ ج٥.
٢. ابن الديبع عبد الرحمن بن علي الشيباني،"قرة العيون" بأخبار اليمن الميمون، (ت ٩٤٤ه)، تح: محمد بن علي الأكوع ، بيروت ، دار بساط، ط ٢، ١٩٨٨.
٣. ابن المعتز،"البديع"،تحقيق: اغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢،ص٤٧.
٤. ابن خلكان أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٦٨م.
٥. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد،"تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر"، تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧١م.
٦. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم(٢٧٦هـ)،"كتاب الأنواء كتاب الأنواء في مواسم العرب"، الناشر: (Bureau) المطبعة العثمانية حيدر أباد الهند، ١٩٥٦م.
٧. ابن منظور محمد بن مكرم،"لسان العرب"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.
٨. الأنف عماد الدين إدريس بن الحسن(٧٩٤-٨٧٢هـ)، "روضة الأخبار ونزهة الأسمار"، تح: محمد الأكوع، ص ١٧-١٨، منشورات الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ١٩٩٥م.
٩. الأنف عماد الدين إدريس، "عيون الأخبار/الجزء السابع"، مخطوط ، صنعاء، مكتبة الفاو.
١٠. الأنف عماد الدين إدريس، "نزهة الأفكار وروضة الأخبار"(مخطوط)، منه صورة إليكترونية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، مأخوذة من ميكرو فيلم (٧٤٩٣) الهيئة المصرية للكتاب، ودار الكتب المصرية، تم تصويره عن مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء لصالح الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة ١٩٨٣م.
١١. الباهلي عمرو بن أحمر،"شعر عمرو بن أحمر الباهلي"، تح: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د ت.
١٢. البستاني كرم،"ديوان ابن هانئ الأندلسي"، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٠م. ص١٦١.
١٣. الجاحظ عمرو بن بحر،"الحيوان"، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٥م.
١٤. الجرجاني عبد القاهر،"دلائل الإعجاز"، تح: محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط٣، ١٩٩٢م.
١٥. جرهام ألان،"نظرية التناص"، ترجمة: د. باسل المسالمة، دمشق، دار التكوين، ط١، ٢٠١١م.
١٦. جوجل، خرائط، ٢٠١٩.
١٧. جيزال فلنسي،"النقد النصّاني"، ضمن كتاب (مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي)، ترجمة الصادق بن الناعس قسومة، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٨م.
١٨. الحذيفي عبد الله طاهر: "حاتم بن أحمد الهمداني سلطان صنعاء (٥٣٣-٥٥٦هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتحقيق ودراسة": مجلة جامعة الوصل دبي، العدد٥٧، يونيو: ٢٠١٩م.
١٩. الحمداني أبو فراس الحارث بن سعيد،"ديوان أبي فراس الحمداني" (٣٥٧هـ -٩٦٨م)، رواية ابن خالويه، تحقيق سامي الدهان، بيروت، ١٩٤٤م.

٢٠. الخزرجي علي بن الحسن، "العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك"، (ت:٨١٢هـ)، مخطوط (صنعاء، مصورة وزارة الإعلام والثقافة، ١٩٨١م.
٢١. الخزرجي علي بن الحسن،"العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية"، تح: محمد بسيوني عسل، مصر مطبعة الهلال بالفجالة، ١٩١١م.وتح: محمد علي الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣.
٢٢. زاهد علي،"تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي"، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٩٣٢م، ص٣٢١.
٢٣. زبارة محمد بن محمد،"أئمة اليمن"، تعز، المطبعة الناصرية، ١٩٥٢م ١/١٥٢-١٥٧.
٢٤. الزبير علي عبده،"الشعر في اليمن من القرن الخامس الهجري حتى نهاية الحكم الأيوبي ٦٢٦هـ"، رسالة دكتوراه، جامعة عدن، ٢٠٠٦م.
٢٥. الشامي أحمد بن محمد، "تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي"، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٧م.
٢٦. صلاح رزق،"أدبية النص"، الفاهرة، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٨٩م.
٢٧. العقيلي محمد بن أحمد،"تاريخ المخلاف السليماني"، الرياض، مطابع الرياض، ط٣، ١٩٩٨م.
٢٨. العلمي محمد،"عروض الشعر العربي"، المغرب، دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٨.
٢٩. كثير عزة،"ديوان كثير عزة"، تح: د.إحسان عباس، بيروت دار الثقافة، ١٩٧١م.
٣٠. كعب بن مالك،"ديوان كعب بن مالك الأنصاري"، تحقيق سامي مكي العاني، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٧م.
٣١. المتنبي، شرح ديوانه، عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.
٣٢. المتنبي،"شرح شعر المتني"، ابن الأفليلي، تح: د. مصطفى عليان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م.
٣٣. البحر النعامي، "قصيدته في الأشهر الحميرية وما قابلها من الأشهر الرومية ويوافقها من أغذية"، تحقيق محمد الأكوع، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، عدد ٣و٤، سنة:١٩٨١م.
٣٤. المحلي حُميد بن أحمد،"الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية"، تح: المرتضى بن زيد المُحَطوَري، مطبوعات مكتبة مركز بدر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٥. محمد حسن عبد الله،"الصورة والبناء الشعري"، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.
٣٦. مسلم بن الحجاج،"صحيح مسلم"، بعناية أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦.
٣٧. المقحفي إبراهيم،"معجم البلدان والقبائل اليمنية"، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ودار الكلمة صنعاء، ٢٠٠٢م.
٣٨. الميداني أحمد بن محمد،"مجمع الأمثال"، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.
٣٩. الهمداني بدر الدين محمد بن حاتم،"السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن"، تح: ركس سمث، منشورات جامعة كمبردج، ١٩٧٣م.
٤٠. الهمدانيحسين فيض الله، "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن"، بيروت ومنشورات المدينة، صنعاء ط ٣، ١٩٨٦م.
٤١. هوميروس،"الإلياذة"، عرّبها نظما: سليمان البستاني -المقدمة، أوزان الشعر العربي، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٤م.

ملحق (١):

صورة من مخطوطة "نزهة الأفكار وروضة الأخبار" لإدريس الأنف، ٠٣٣٦ اللوحة ٧٠، وانفردت بإيراد قصيدة عزان بن سعيد بن بشر في تنبيه أبناء عمه إلى مضار الاختلاف وعواقب الفشل، وهم في حصن ذمرمر سنة٦٦٣هـ.

Sons and Grandsons of Al-sultan Bishr Ibin Hatem Al-Hamdani and the Remains of their Poetry (San,a 569 - 664 AH)

Dr. ABDULLAH TAHER ALI ALHUTHAIFI
Assistant Professor Arabic Literature and Criticism
Faculty Of Arts AL Wasl University - Dubai UAE

Abstract:
This paper studies what remains of the poetry of the six knights – the sons of Bishr bin Hatim Al-Hamdani and his grandsons, who lived in Sana'a (Yemen) and the surrounding forts during the period (569-664 AH = 1174-1265 AD), accompanying the Ayyubid State in Yemen, and forty years of the Apostolic (Al-Rasoliah) State, until their cousins (sons of Ali Bin Hatim) abandoned their greatest fort (Dhamurmur), that had been one of the most important sources of their power, and handed it over to Al-Mudhafer - the second king of Al-Rasoliah State. From the printed historical sources and manuscript, we have collected what remains of their little news and poetry, gathering 202 verses, in nine poems. We have enriched it by investigation and study, revealing the breadth of those poets' culture; the quality of their poetry and its artistic characteristics particularly in the construction of the poetic image manifested more in metanomy than the others which may probably be attributed to their equestrian life and its associated use of symbols to refer to things in life more than to state them as they are. Had it been remained more of their poetry, there would have been a lot of nice art and literature.
Key words (knights - Bishr bin Hatim – Sana - Al-Rasoliah - Ayyubid State)